# الفصل الخامس :

## دور الذاكرة وضعفها في التحقيقات الجنائية

- عملية الإدراك الحسي والعوامل المؤثرة فيها .
- النظريات التي وضعت لتفسير ظاهرة النسيان .
- ضعف الذاكرة وفقدانها .
- الاضطرابات العضوية والاضطرابات الوظيفية .
- طرق قياس النسيان والتذكر.
- صعوبات تواجه عملية الاسترجاع.
- العوامل التي تؤدى إلى تحريف الذكريات.
- الوضع القانوني للشاهد والعوامل النفسية المؤثرة في شهادته .
- الأحكام الوقائية.
- العوامل المؤثرة في عملية التحريف.
- المشاكل التي تواجه شهادة شهود العيان.
- تأثير اضطراب تعدد الشخصية على مجرى المحاكمات الجنائية .
- مبادئ محكمة النقض المصرية في تقدير شهادة الشهود.

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الخامس :

# دور الذاكرة وضعفها في التحقيقات الجنائية

## ضعف الذاكرة وفقدانها وانعكاسها على القضاء الجنائي :

### ملخص الدراسة :

تتناول هذه الدراسة بالعرض والتحليل مجموعة من الحقائق والمعطيات العلمية التي تدور حول عمليات الإحساس والإدراك ، وكذلك عمليات التذكر والنسيان والفقدان الكلى والجزئي للذاكرة ، مما يعوق شهادة شهود العيان أمام السلطات القضائية ، الأمر الذي قد يؤثر على مسار العدالة الجنائية .

وتنقسم الدراسة إلى عدة مباحث هي :

المبحث الأولى ويتناول عملية الإدراك الحسي والعوامل الذاتية التي تؤثر فيه .

المبحث الثاني ويتناول ضعف الذاكرة وفقدانها وأعراض هذا الاضطراب وأسبابه .

ويستعرض المباحث الثالث تحريف الذكريات وبالتالي تحريف شهادات الشهود ، وبيان أسباب ذلك التحريف ثم العوامل التي تساعد على حدوث عملية الاسترجاع الجيد أو التذكر الجيد .

ويستعرض المباحث الرابع شهادة شهود العيان والوضع القانوني للشاهد والعوامل النفسية التي تؤثر في شهادته والتي تنال من دقتها ومبلغ الثقة فيها وعلى وجه التحديد تأثير اضطراب الأمينزيا في مجرى العمل القضائي .

## Abstract

### The effects of amnesia and loss of memory On criminal cases and the accuracy Of eyewitness testimony

What are the difficulties which amnesia and loss of memory have created for the legal system? Both crime victims and criminals are unable to recall the crimes and can not offer valuable testimony in courts, because they can not remember the events . One research found that between 23 and 65 percent of people charged with or convicted of homicide claim to have on memory of the crime . Loss of memory could be due to alcohol or other drugs . Some accused people may be faking .

The extreme emotional arousal surrounding the crime may cause true dissociative amnesias . Defendants who are suffering from amnesia may be judged incapable of standing trial or incompetent to stand trial, so they may be qualified to the insanity defense . People who are suffering from dissociative identity disorder which is known also as multiple personality, in this the accused person claim that he has not committed the crime but another "personality".


obeikandl.com

## أهمية الدراسة :

تعالج هذه الدراسة موضوعًا من أهم الموضوعات القضائية في المجال الجنائي والمدني ، وذلك للتعرف ، بصورة علمية ومنهجية ، على العوامل التي تؤثر في شهادة شهود العيان أمام الهيئات القضائية وأمام سلطات التحقيق.

ومن الأهمية بمكان التعرف على الأسس العلمية والمنهجية التي تحيط بعملية الشهادة أمام المحاكم الجنائية والمدنية . ولإحكام فهم شهادة الشهود ، لابد من التعرف على العوامل النفسية والإجرائية التي تؤثر في دقة هذه الشهادة ، وبالتالي في مدى الثقة في صحتها واعتمادها كأدلة ثبوتية أو أدلة نفى.

ومن هنا لابد من التعرف على طبيعة عملية الإدراك الحسي والعوامل الذاتية التي تؤثر فيها.

ومعروف أن الإدراك الحسي عملية من العمليات العقلية العليا في الإنسان ، والتي من خلالها يطل الإنسان على موضوعات العالم الخارجي ، ويلم بإحداثه التي تدور حوله . والإدراك الحسي ، في جوهره ، عبارة أولاً عن استقبال الإحساسات المختلفة السمعية والبصرية والشمية والذوقية واللمسية ، ثم ثانيًا إعطائها المعنى والدلالة.

ويتوقف دقة هذا الإحساس على سلامة الحواس ، ومن خلال عملية الإدراك الحسي يضفى الإنسان المعنى والوظيفة والدلالة على تلك المحسوسات . وهذه العملية ليست تسجيلاً آليًا أو ميكانيكيًا أو تصويرًا فوتوغرافيًا حرفيًا ، لما يدور من أحداث أمام حواس الإنسان ، ذلك لأن عملية الإدراك الحسي تتأثر بكثير من العوامل الخارجية أو الموضوعية كالقرب أو البعد من مسرح الجريمة وكتوفر الإضاءة المناسبة أو عدم توفرها . وإلى جانب ذلك ، وهذا هو الأهم ، أنها تتأثر بكثير من العوامل الداخلية أو الذاتية التي تخص الإنسان المدرك نفسه ، من ذلك تعرضه للانفعالات الشديدة أو الإيحاءات أو التعصب وما إلى ذلك.

ومؤدى ذلك أن الشهادة أمام المحاكم وسلطات التحقيق لكي تكون دقيقة لابد من ضمان صحة وسلامة ودقة عمليتي الإحساس والإدراك فإذا كان الإدراك مضطربًا أو مشوشًا كان الشهادة كذلك.

ومن هنا كان من الضروري لسلطات التحقيق والهيئات القضائية ، التي أصبحت تعتمد على العلم ومناهج البحث العلمي الإلمام بظروف الشاهد وذلك لضمان دقة الشهادة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في استعراض عملية التذكر ، وبيان وظيفة الذاكرة ، وكذلك تعرضها للضعف أو الخفوت أو الانطفاء أو النسيان أو الفقدان الكلي أو الجزئي . ومعلوم في السلطات القضائية في الوقت الحاضر أنها تعلم أن فقدان الذاكرة قد يصيب كلا من أطراف الدعوى القضائية وهم :

(أ) المتهم .

(ب) المجني عليه أو الضحية وخاصة في الجرائم المشحونة بشحنة انفعالية عالية أو بالخوف الشديد كجرائم الاغتصاب وهتك العرض .

ولابد في هذا المجال من التعرف على النظريات التي وضعت لتفسير ظاهرة النسيان أي معرفة أسبابها والظروف التي قد تحدث في ضوئها ، وكذلك التعرف على تأثير عملية التنويم المغناطيسي على دقة الشهادة أو فسادها.

وفي إطار التعمق العلمي في إجراءات التقاضي وأساليب التحقيق الجنائي لابد من التعرف على العوامل التي تساعد على حدوث عملية الاسترجاع أو التذكر الجيد ، أي المطابق للواقع كما حدث في مسرح الجريمة بالفعل وكذلك لابد من أن يضع المحقق يديه على العوامل التي تؤدى إلى تحريف أو تغير أو تزيف الذكريات والشهادات سواء بطريقة عمدية مقصودة أو بطريقة غير مقصودة ، وكذلك ما يحدث من نسيان على المستوى اللاشعوري أي بتأثير عملية الكبت.

وتستعرض الدراسة استعراضًا نقدًا شهادة شهود العيان أمام الهيئات القضائية ، وبيان الوضع القانوني للشاهد والعوامل النفسية المؤثرة في شهادته ، والضوابط التي وضعها قانون الإجراءات الجنائية ، وكذلك العقوبات التي فرضها قانون العقوبات على الإدلاء بالشهادة الزور ومدى الالتزام بالإدلاء بالشهادة وتأثير مرض فقدان الذاكرة على مجرى التحقيقات ، وعلى مسار العدالة الجنائية ، الأمر الذي يتطلب ضرورة معرفة طبيعة اضطراب الأمينزيا "أي فقدان الذاكرة" وأثره في المحافل القضائية.

# المبحث الأول : عملية الإدراك الحسي والعوامل المؤثرة فيها

## العوامل الداخلية الذاتية التي تؤثر في عملية الإدراك الحسي :

إن الإدراك الحسي عملية معقدة تتدخل فيها عوامل متعددة داخلية وخارجية ، ويقصد بالعوامل الذاتية العوامل التي ترجع إلى الشخص المدرك نفسه ، ومن بين هذه العوامل ما يلي :

### 1) عامل الذاكرة أو الألفة :

فالإنسان يدرك الأشياء التي سبق أن خبرها أسهل من الأشياء التي لم يسبق أن مرت بخبرته . فأنت ترى على مائدتك هذا الشيء المستدير وتعرف أنه برتقالة لها لون وطعم وملمس معين دون أن تلمسها أو تتذوقها ، وذلك لسابق خبرتك بها كذلك فأنت تقرأ كلمات الإنجليزية التي سبق أن حفظتها بطريقة أسهل من الكلمات الجديدة عليك .

### 2) عامل التوقع :

فنحن ندرك الأشياء كما نتوقع أن تكون عليه ، لا كما هي في ذاتها ، فأنت عندما تقف تنتظر صديقك في الطريق وتنظر إلى المارة تراه "قادما" في عشرات منهم ، ويتأثر الإدراك بالتوقع العقلي للفرد ، فقد أجريت تجربة مؤداها أن باحثًا عرض مجموعة من الكلمات عديمة المعنى على الشاشة على مجموعتين من الناس ، ولكنه أخبر المجموعة الأولى أن الكلمات التي ستعرض عليهم تدور حول وسائل المواصلات والسفر ، وقال للمجموعة الثانية أن الكلمات تدور حول الحيوانات والطيور ، وكانت إجابات المجموعة الأولى (74٪) تدور حول وسائل المواصلات ، بينما كانت إجابات المجموعة الثانية (63٪) عبارة عن أسماء طيور وحيوانات ، وعلى ذلك يتأثر إدراك الفرد بالتهيؤ أو الاستعداد العقلي للشخص المدرك.

### 3) الحالة الجسمية والنفسية للشخص المدرك :

يتأثر إدراكنا للعالم الخارجي بحالتنا النفسية والجسمية وقت الإدراك . ولقد أجريت تجربة بأن حرم جماعة من الأطفال من الطعام وعرض عليهم عدة صور من خلال لوح زجاج

مصنفر ، وطلب منهم تفسير هذه الأشياء فقالوا إنها "مأكولات" وكانت نسبة إدراكهم "للمأكولات" تزداد كلما زادت حدة الجوع.

وأنت إذا جلست في حديقة عامة وكنت في حالة نفسية طيبة ورأيت لفيفًا من الأطفال يلعبون ويمرحون ويصيحون ، رأيت في لعبهم هذا نشاطًا ترويحيًا محببًا ، أما إذا كنت في حالة نفسية سيئة ، فسرت نشاطهم هذا بأنه عبث واستهتار وإزعاج للغير.

**4) ومن العوامل التي تؤثر في عملية الإدراك :**

عقائد الفرد واتجاهاته ، ومن التجارب المأثورة التي أثبتت ذلك تجربة قام بها أحد علماء النفس حيث طلب من مجموعة من الأطفال الأغنياء وأخرى من الفقراء تقدير حجم قطع من العملة عن طريق إسقاط ضوء مستدير يمكن التحكم فيه ، وفي مساحته فكان تقدير الفقراء لقطع العملة "أكبر" من تقدير الأطفال الأغنياء . ولقد فسر هذا الفرق بالقول بأن قيمة النقود عند المحرومين أكبر ، ويؤدى ذلك إلى رؤيتهم لأحجامها بشكل أكبر مما هي عليه في الواقع.

إن ثقافة الشخص ومعتقداته تؤثر فيما يدركه من موضوعات العالم الخارجي ، وفي تأويله لها فالروم القدماء كانوا يستمتعون برؤية الدماء وهى تنزف من أجساد العبيد الذين كانوا يلقون بهم إلى الأوسد ، كذلك فإن الأسبان يستمتعون بمشاهدة مصارعة الثيران وبرؤية السهام وهى تخترق جسم الحيوان ويرون فيها براعة المصارع وخفته ، ولكن كثير من الناس لا يرون فيها إلا تعذيبًا للحيوان ، كذلك فإن كثيرًا من أبناء المجتمعات البدائية يعتقدون في وجود الأرواح والشياطين ، على حين لا يرى ذلك الشخص الذي يؤمن بالعلم الحديث . والطفل الصغير يدرك الشيء حسب اعتقاده هو لا كما هو في ذاته . ولذلك فإنك إذا طلبت منه أن يرسم قطة "حامل" رسمها ورسم قططًا في بطنها ، وعلى الرغم من أنه لا يرى ما يوجد في بطن القطة وإذا رسم سمكًا يسبح في الماء رسمه كما لو كان من خارج الماء . فرسم الأطفال يمتاز "بالشفافية" لأن الطفل يرسم الشيء كما يعرفه لا كما هو في الواقع .

وبالمثل فإن كثيرًا من الأعمال الفنية لكبار الفنانين تتأثر بشخصية الفنان ، وميوله واتجاهاته وعقائده ، وتعبر تعبيرًا صادقًا عن ذاته أكثر عما تعبر عن الواقع المادي للأشياء التي يرسمها ، ولذلك يقال ، بحق ، أن الفن وسيلة ناجحة من وسائل التعبير عن الذات self-expression .

5) **كذلك يتأثر الإدراك بالاتجاهات :**

والميول والنزعات الشخصية للفرد ، فقد أجريت تجربة على مجموعة من الأشخاص المعروفين بتعصبهم وجمودهم ومجموعة أخرى من غير المتعصبين لآرائهم ، وذلك بأن عرضت عليهم صورة كلب على شاشة ثم أخذت هذه الصورة تتغير تدريجيًا حتى تتحول إلى صورة قطة ، وأسفرت النتيجة عن أن المجموعة غير المتعصبة كانت أكثر قابلية لإدراك التحول بينما أخذت المجموعة المتعصبة وقتًا أكثر في تغيير رأيها وإدراك الصورة على أنها صورة "قط".

6) **حالة الاضطراب النفسي :**

من العوامل التي تؤثر في إدراك الفرد ، ومن التجارب في هذا الصدد ما يلي:

اتفق أحد أساتذة إحدى الجامعات الأمريكية مع أحد الأفراد لكي يلقى محاضرة بلهجة ألمانية على طلابه ، وأن تتصف محاضرته بالهجوم والعدوان ، ولما تم آثار ت المحاضرة ضجة كبرى بين صفوف الطلبة . وبعدها طلب الأستاذ من طلابه إعطاء أوصاف هذا المحاضر ، فجاءت أوصافهم مؤكدة أن له شعرًا أصفر وعيون زرقاء ، وهى الصفات المعروفة للألمان ، بينما في الواقع لم يكن المحاضر ألمانيًا ، ولم يكن له شعر أصفر فحالة الاضطراب النفسي أثرت على أحكام الطلاب وعلى دقة إدراكهم . ومن التجارب التي أجريت في هذا الصدد أيضًا ما يلي: في أحد مؤتمرات علماء النفس دخل فجأة رجل يطارده رجل أسود ، وبيد الرجل الأسود مسدسًا ، وفي وسط قاعة المؤتمر تشاجر الاثنان فأطلق الرجل الأسود الرصاص من مسدسه ، وأمسك الرجل الآخر وأوقعه أرضًا ، ثم فر الاثنان هاربين ، وبعدها طلب من الحاضرين كتابة وصف الحادث كطلب البوليس ، فجاءت الأوصاف معظمها خاطئة حيث وصله 40 تقريرًا كانت نسبة الخطأ في الوقائع نحو (30٪) (جلال: 1992).

7) الإيحاء من العوامل التي تؤثر في الإدراك ، ومن التجارب التي أجريت في هذا الصدد تجربة مؤداها أن أحضر أحد الأساتذة زجاجة مغلقة وأخبر طلابه بأن بها عطرًا قويًا ، وأن على من يبدأ في شم هذه الرائحة أن يرفع إصبعه ، وبعد برهة رفع كثير من الطلبة أصابعهم بينما كانت الزجاجة في الواقع خالية تمامًا من العطر.

8) وقد يرجع الخطأ في الإدراك إلى مرض الحواس نفسها ، فضعف الإبصار وعمى الألوان وقصر النظر وغير ذلك من الأمراض التي تؤثر في عملية الإدراك ، ويمكن علاج هذه الحالات بعلاج أعضاء الحس أو استخدام النظارات الطبية أو السماعات . (العيسوي: 2005) .

**النسيان ودقة الإحساس :**

إن ما يبدو نسيانًا قد يكون نتيجة لانطباعات ضعيفة أو عارضة أو غير كافية أثناء التأثر والملاحظة أي أثناء الإدراك . فكثيرًا ما نعجز عن تذكر الأسماء أو الناس أو الأشياء لأننا لا نتنبه إليها عند سماعها أو رؤيتها انتباهًا كافيًا . وتلك هي الحال أيضًا في تذكر شهود العيان عن الحوادث والجرائم أثناء الإدلاء بالشهادات أمام المحاكم أو سلطات التحقيق ، وفي تذكر ما يقع أثناء الحوادث العنيفة أو المخيفة أو المزعجة أو المثيرة للاضطراب لكن في الحالات التي تكون فيها الملاحظة أو الإدراك أو المشاهدة أو الإحساس قد تم بانطباع كاف ودون صدمات انفعالية . فلماذا يحدث النسيان؟ (راجح ، 1994: 310).

**النظريات التي وضعت لتفسير ظاهرة النسيان :**

**1) نظرية الترك والضمور :**

وفقًا لهذه النظرية فإن الذكريات والخبرات والمعلومات والحقائق والدقائق والتفاصيل السابقة تضعف آثار ها أو تضمر نتيجة عدم استعمالها ، كما تضمر العضلة إن تركت مدة طويلة من الزمن دون استعمال أو تمرين ، التذكر يحتاج إلى دوام الممارسة.

هذه النظرية ربما تفسر بعض حالات النسيان في أعقاب الإصابة ببعض الأمراض العقلية أو النفسية وفي مرحلة الشيخوخة . غير أن هناك أدلة كثيرة على خطئها ، من ذلك ما تدل عليه الملاحظات الإكلينيكية من أن الطفل إن فقد بصره في سن الرابعة أو الخامسة ووصل إلى سن النضج لا يفقد ما تعلمه عن طريق حاسة الإبصار ، بحيث يمكن تمييزه بوضوح في سن النضج عن شخص آخر ولد أعمى ، وهذا يعنى أن الترك لا يحدث أثرًا.

**2) نظرية التداخل والتعطيل :**

لوحظ أن النسيان في أثناء النوم أبطأ منه في أثناء اليقظة ، كما لوحظ أن الأطفال

يتذكرون في سهولة ووضوح ما يروى لهم من قصص قبيل النوم على حين لا يتذكرون تفاصيل ما يتلى عليهم من قصص أثناء النهار ، وقد فسر ذلك بعض الباحثين بأن أوجه النشاط المتعاقبة التي يقوم بها الفرد أو الأحداث التي تعرض لها أثناء النهار يتداخل بعضها في بعض ، كما تتداخل ألوان الطيف ، فينجم عن هذا التداخل أن يطمس بعضها بعضًا .

فتداخل المعلومات وتزاحمها وتكدسها وحشرها في الذهن كل هذا يؤدى إلى ضعف القدرة على الاسترجاع.

**الكف الرجعى أو التعطيل الرجعى Retroactive inhibition :**

كما لوحظ أن الشخص إن أتم حفظ موضوع معين كقصيدة من الشعر مثلاً ، ثم شرع بعد ذلك مباشرة – ودون أن يأخذ فترة من الراحة في حفظ مادة أخرى كقائمة من الأرقام ، فإن نسبة ما ينساه من الشعر تكون أكبر بكثير منها لو كان قد استراح فترة بعد حفظ الشعر ، كأن حفظ الأرقام قد تداخل في حفظ الشعر فطمس وغطى عليه فساعد على نسيانه ، وقد سميت هذه الظاهرة التي أيدها التجريب بالتعطيل الرجعى أو الكف الرجعى ، وهو الذي ينصب أثره بأثر رجعى على الذكريات السابقة . ويقصد به أن تداخل التعلم اللاحق في التعلم السابق ربما يؤدى إلى نسيان بعض ما تم تعلمه ومن التطبيقات التربوية لهذا المبدأ أنه يتعين على الطالب ألا يبادر بتحصيل موضوع بعد آخر إلا بعد أن يأخذ فترة من الاستجمام الكافي بين الموضوعين.

**الكف البعدي أو التعطيل البعدي Proactive inhibition :**

ولقد دلت بعض الدراسات أيضًا على أن التعلم السابق قد يحرف أو يعطل التعلم اللاحق ويساعد أيضًا على نسيانه أو تشويهه بقدر قليل أو كثير . فتعلم السباحة قد يعطل تعلم كرة القدم ، وحفظ درس في اللغة الأسبانية قد يعطل حفظ درس يتلوه في اللغة الإيطالية ، ويساعد أيضًا على نسيانه ، وذلك للتشابه الكبير بينهما . (راجح 1994: 311).

هذا النوعان من التعطيل مثالاً للانتقال السلبي لأثر التدريب أي أثر ما يتعلمه الفرد في مجال معين كاللغة الإنجليزية وتعلمه في الرياضيات مثلاً وذلك في حالة عدم وجود عناصر مشتركة بين الخبرة الأولى والخبرة الثانية.

**مبادئ التذكر أو الاسترجاع الجيد:**

1) أنه كلما زاد التشابه بين المادتين ، السابقة واللاحقة ، في المعنى أو المحتوى أو الشكل ، زادت درجة انطماس إحداهما بالأخرى ، وكلما اختلفا كأن تكون إحداهما قصيدة تحفظ والأخرى أغنية تنشد ، قلت درجة نسيان كلمنهما .

2) إن التعطيل ، بنوعيه ، يكون ضعيف الأثر إن تم تعلم المادتين وفق شروط التعليم المثمر والجيد ووفق شروط التحصيل الجيد المعروفة والتي تقوم على الفهم والاستيعاب وليس السرد والحفظ الآلي الميكانيكي الأصم . فالمواد المفهومة والمنظمة لا ينال منها التعطيل ما يناله من غيرها .

فالنسيان ، وفق هذه النظرية ليس عملية سلبية تنجم عن مجرد مرور الزمن كما تزعم نظرية الترك والضمور ، بل هو عملية تنشأ عن تداخل إيجابي لأوجه نشاط مختلفة من بعض الوجوه ، أي عما يقع في الزمن من أحداث . (راجح: 1994: 312) .

**3) دور عملية الكبت في النسيان :**

عملية الكبت عملية عقلية لا شعورية أو هي حيلة من حيل الدفاع اللاشعورية والكبت معناه النسيان اللاشعوري .

تدل دراسة الدوافع اللاشعورية أن نسيان المواعيد والتواريخ والأسماء والأحداث ، قد ينجم عن رغبات مكبوتة ، ويرى "سيجموند فرويد" (1856 – 1939م) Sigmund Freud أننا ننسى – عن طريق الكبت – ما لا "نريد" تذكره وما لا نميل إليه كمادة دراسية أو موعد أو إرسال خطاب وما هو مصطبغ بصبغة وجدانية منفرة أو مؤلمة أو حزينة أو مخزية أو محرجة خاصة ما يجرح كبرياءنا واحترامنا لأنفسنا .

وقد دلت الملاحظات وكذلك التجريب على صدق هذه النظرية إلى حد كبير وعلى أنها تفسر كثيرًا من حالات النسيان لا كلها . فقد ننسى اسم شخص لأننا نكرهه أو لأنه يذكرنا بشخص آخر نكرهه ، أو نخافه ، أو نغار منه ، ويندر أن ننسى اسم شخص نحبه أو رقم تليفونه ، ولو سجل الإنسان في قائمة قبيل نومه ما يعتزم القيام به في الغد من أعمال وواجبات ومطالب ، ثم عاد إلى هذه القائمة في تمام اليوم التالي لوجد أن ما نسيه هو ما لم يكن يرغب لا شعوريًا في أدائه . ولقد كان "تشارلز دارون" (1809 – 1882) Charles Darwin

يسجل على الفور جميع الوقائع والملاحظات والأفكار المضادة لرأيه ، فقد علمته خبرته أن أمثال هذه الأفكار والوقائع أسرع إلى النسيان من تلك التي تؤيد صدق فروضه.

وهؤلاء الأشخاص الذين يتحسرون على الماضي ويرددون دائمًا محاسنه إنما يفعلون ذلك لا لأن الماضي كان خاليًا مما يكدر ويزعج ، ولكن لأن الإنسان يميل إلى نسيان الذكريات المؤلمة وتذكر السار منها . كذلك نحن ننسى ما لا يتمشى مع ميولنا واتجاهاتنا النفسية وعقائدنا.

ولقد أجريت تجارب كثيرة وأيدت هذه النظرية . من هذه التجارب أن طلب الباحث من (51) طالبًا أن يسجلوا جميع خبراتهم السارة وغير السارة خلال الأسابيع الثلاثة التي سبقت التجربة ، وبعد ثلاثة أسابيع طلب إليهم الباحث أن يسترجعوا القائمتين ، فوجد أنهم استرجعوا (51٪) من الخبرات السارة و (31٪) من غير السارة.

## وظيفة النسيان في حياة الإنسان:

والنسيان وفق هذه النظرية عملية انتقائية لها وظيفة حيوية هي حماية الفرد مما ينغصه ويؤلمه ، وحمايته من التوافه الطفيلية وما لا قيمة له في نظره حتى يتاح له أن يتفرغ لما هو أهم وأجدى .

الواقع أن النسيان عن طريق الكبت يمكن اعتباره نسيانًا بالتداخل – تداخل رغبة لا شعورية لا يفطن الفرد إلى وجودها مع رغبة شعورية هي القصد الظاهر للفرد كما هي الحال في فلتات اللسان وزلات القلم .

وجدير بالذكر أن النسيان بالكبت يعتبر عجزًا عن الاسترجاع وليس قصورًا أو ضعفًا في الوعي والاحتفاظ ، إذ أن الشيء المكبوت المنسي يمكن أن يظهر ويستحى أثناء جلسات التحليل النفسي أو أثناء النوم المغناطيسي أو في حالات الخدر الخفيف أو في الأحلام ، وقد ينطق به الفرد أثناء نومه .

## تعدد نظريات تفسير ظاهرة النسيان:

إن نسيان المواد المختلفة والنسيان في المواقف المختلفة يتطلبان تفاسير مختلفة . فبعض الحالات ترجع إلى ضعف الانطباع الأصلي ، فكثيرًا ما ننسى أسماء الناس لأننا لم ننتبه إليها

عند سماعها انتباهًا كافيًا ، وبعضها يرجع إلى عدم الاهتمام ، وحالات أخرى ترجع إلى التعطيل الرجعي أو البعدي أو الكف الرجعي أو الكف البعدي أو الرغبة في النسيان ، أو الاضطراب الانفعالي ، وأغلب حالات النسيان ، التي يشكو منها الناس سببها عدم مراعاة شروط التحصيل الجيد ، وقد يتضافر عدد من هذه العوامل مما يجعلنا لا ندهش لظاهرة النسيان بل لظاهرة التذكر.

obeikandl.com

# المبحث الثاني : ضعف الذاكرة وفقدانها

## الذاكرة وعملية التذكر :

هناك كثير من الحقائق والافتراضات التي تدور حول وظيفة الذاكرة ، وما قد يصيبها من الاضطراب والخلل . وفي هذا الصدد يقال إن هناك شخصيات تمتلك ذاكرة قوية وفوتوغرافية تسجل كل الأحداث وتحفظها وتستطيع استرجاعها عند الحاجة.

ويلاحظ أن هناك ذكريات يصعب استرجاعها وأخرى في الإمكان تذكرها ، فقد يستطيع الإنسان تذكر أسم معلمه في المرحلة الابتدائية مقارنة بما يجده من صعوبات لتذكر اسم شخص التقى به منذ لحظات في اجتماع ما . كما يقال إن جميع خبراتنا يتم طبعها بصورة دائمة في المخ ، وعلى ذلك فإن المثيرات الملائمة تجعلنا نتذكرها بكل دقة.

كما يقال إنه لا يوجد حدود عملية لكمية المعلومات التي تستطيع تخزينها في ذاكرتك ، كما يفترض أن المواد التي نتعلمها يجب أن تكون ذات معنى حتى نستطيع تذكرها ، ومعنى ذلك أن الإنسان لا يتذكر بسهولة المقاطع عديمة المعنى.

وكذلك يفترض أننا نستطيع تذكر الأحداث الهامة التي وقعت لنا خلال العامين الأولين من الحياة أو من العمر ، وكذلك يفترض أن هناك بعض الوسائل التي تساعد على تحسين عمل الذاكرة.

## الذاكرة طويلة الأمد ومدى دقتها :

هل يمكن اعتبار الذاكرة عبارة عن إعادة بناء للمعلومات Reconstructive؟ لقد قرر بعض علماء النفس أن الذاكرة يمكن أن يتم إفسادها عن طريق التحيز ، أو التعصب ، وعن طريق ما يوجد لدينا من حاجات ، كذلك تتأثر الذاكرة بالطريقة التي يكون بها الإنسان مفاهيمه أو تصوراته أو أفكاره عن العالم conceptualize our worlds.

ويذهب كثير من علماء النفس المعرفي إلى القول بأن معرفة الإنسان عن العالم يتم تمثيلها على شكل خطة schemas بمعنى أن الإنسان يشكل ويطور ذكرياته ، فلكل منا طريقته في إدراك العالم المحيط به perceiving the world ويسعى الإنسان لجعل الأشياء والناس تتواءم مع هذه الصورة الذهنية الموجودة في عقله ، وتتضح هذه الحقيقة إذا ما عرض الباحث

مجموعة من الأشكال الهندسية على عدد من المفحوصين لعدة ثوان ، ثم طلب منهم بعد ذلك رسم هذه الأشكال ، الإنسان تتأثر عنده الذكريات بما يقوم بتجميعه من المرئيات والصور الذهنية recollections .

مما يدل على تأثير ذاكرة الإنسان بما لديه من خطط schemas أو مخططات أن هذه الخطط تؤثر في عملية التعامل مع المعلومات informations ولقد اتضح هذا التأثير من تجربة قام فيها أحد الباحثين بعرض فيلم على مجموعة من الناس وكان الفيلم يعبر عن حادثة تصادم عدة سيارات ، وبعد ذلك قدم لهم استبيانًا يتضمن أسئلة حول الحادث ، ولمعرفة مدى سرعة السيارات ، وقت وقوع الحادث ، ولقد اختلفت عبارات الأسئلة أو ألفاظها أو لغتها اختلافًا كبيرًا ، بعض هذه الأسئلة كان يطلب من المفحوص أن يقدر سرعة السيارات عندما تصادمت مع بعضها البعض ، وبعض الأسئلة الأخرى كانت تطلب من المفحوص أن يحدد سرعة السيارات عندما هشمت بعضها بعضًا smashed .

وكان الاختلاف هنا بين عبارة "هشمت" وعبارة "ضربت" hit في الإجابة عن السؤال الأول حدد المفحوصون سرعة السيارات بـ 34 كيلو/ ساعة وفي الإجابة عن السؤال الثاني حددت نفس المجموعة وهي التي رأت نفس الفيلم هذه السرعة بـ 41 كيلو/ ساعة ، وذلك من جراء استخدام كلمتي (ضربت) و (هشمت) hit and smashed . هذه الأسئلة جعلت المفحوصين يعيدون وينظمون معلوماتهم أو معرفتهم بالحادث ، وذلك بطرق مختلفة . وبذلك اختلفت رؤية من شاهدوا الفيلم وفقًا لتغيير عبارات الأسئلة.

وبعد مضى أسبوع على عرض هذا الفيلم تم توجيه الباحث بأسئلة لهذه المجموعات وذلك بطرح السؤال الآتي:

هل رأيت أي زجاج محطم في الحادث؟ علمًا بأن الحادث لم يحتو على أي زجاج محطم . ولقد أجابت نسبة (14٪) برؤية هذا الزجاج المحطم ، وكانوا من الذين تم إعادة تنظيم معلوماتهم ، وكانت هذه النسبة من الذين قرروا أنا السيارة هي التي ضربت السيارة الأخرى . ولقد قررت نسبة (32٪) أنهم شاهدوا زجاجًا محطمًا من هؤلاء الذين وجهت لهم أسئلة "تحطيم" السيارة أو تهشم السيارة.

مثل هذه المعطيات أو المعلومات لها كثير من التطبيقات في مجال إقرار أو عدم إقرار

شاهد شهود العيان eyewitness testimony . وقبولها أو عدم قبولها في دوائر المحاكم.

ولقد روى عالم نفس الطفل جين بياچيه (1896 – 1980) Jean Piaget واقعة محاولة اختطافه وهو طفل صغير بكل تفاصيلها ووصف المرضة التي أنقذته ووصف رجل البوليس الذي ضبط المختطف وكيف تم هروب هذا اللص وقدم هذه الذكريات بصورة كاملة تكاد تكون صورة فوتوغرافية ، ولكن بعد ذلك تبين أن هذه الذكريات كانت كاذبة ومزيفة وأنه لم يتم اختطافه وهو طفل إطلاقًا ، واعترفت المرضة أنه هي التي اختلقت هذه القصة المزيفة : (الحفني: 1993: 81).

والحقيقة أن القضاة والمحامين وغيرهم من رجال الاختصاص القضائي يهتمون اهتمامًا بالغًا بمدى دقة شهادة شهود العيان ، وكيف تعبر هذه الذكريات عن نفسها في شهادة شهود العيان وإلى أي مدى يمكن الثقة فيها والاعتماد عليها كأدلة ثبوتية أو كأدلة نفى؟

الذكريات يتم إعادة بنائها فهي ليست صورًا فوتوغرافية طبق الأصل من الأحداث التي وقعت في الماضي . كذلك تبين أن الشهادة تتوقف على نوعية الصياغة اللغوية للأسئلة التي توجه للشاهد.

ولذلك فإن ممثلو الادعاء attorneys لا ينبغي أن يصوغوا الأسئلة بصورة إيحائية أي توحي بالإجابة لمن توجه إليه هذه الأسئلة that head the witness .

ومن الأمور الخطيرة في مجال القضاء الخطأ في عملية التعرف على المتهم misidentifications of witness ، حيث يتعرض الشخص البريء إلى كارثة خطيرة من خلال هذا الاتهام الباطل ، بينما يكون المجرم الحقيقي حرًا طليقًا . ولقد تبين أن اختلاف صياغة الأسئلة التي صاغها أحد الباحثين الأمريكان عن تلك الأسئلة التي صاغها المحامى lawyer في أثناء استجواب الشاهد interrogating a witness تؤثر هذه الصياغة في إعادة تركيب الذكريات أو بناء الذكريات.

كذلك لقد تبين أن الأطفال يخضعون أكثر من الكبار في عملية استجوابهم للإيحاء . والأطفال الأصغر سنًا أكثر تعرضًا للإيحاء عن الأطفال الأكبر سنًا . ولكن إذا تمت صياغة الأسئلة بصورة جيدة ، فإن الأطفال الصغار من الممكن أن يقدموا شهادات دقيقة ومفيدة للمحكمة أو للمحقق.

## كيف يمكن تفسير ظاهرة النسيان forgetting ؟

لقد استخدم عالم النفس الألماني هيرمان ابنجهاوس Hermann Ebbing haus (1850 – 1909) المقاطع عديمة المعنى لقياس عملية التذكر والنسيان nonsense syllables وذلك لدراسة الذاكرة والنسيان memory and forgetting وبالذات لقياس عملية التذكر البسيط simple memorization وذلك لدراسة الجوانب الثلاثة لعملية التذكر وهي:

(أ) التعرف Recognition.

(ب) الاسترجاع أو التذكر Recall.

(ج) إعادة التعلم Relearning.

ولقد كشفت هذه الدراسات عن الكثير من خصائص عملية النسيان forgetting ومنها التعرف يشير إلى تعرف الشخص على الأشخاص أو الأشياء التي سبق أن مرت بخبرته ، أما التذكر أو الاسترجاع فهو قدرة الفرد على استرجاع ما سمعه أو رآه من مشاهد في غيبة مثيراتها الأصلية . والاسترجاع أكثر صعوبة من التعرف ، ويصبح التذكر أكثر سهولة إذا كان للمادة المتعلمة معنى في ذهن المتعلم مع ربط الأشياء بمفاتيح تساعد على تذكرها cues . وتزداد قدرة الفرد على التذكر بالتقدم في السن مقارنة بمرحلة الطفولة ، أما إعادة تعلم المعلومات التي سبق للفرد أن تعلمها يكون أكثر سهولة عن تعلم المادة أو المعلومة لأول مرة ، كما يبدو ذلك في عدد مرات التكرار اللازمة للحفظ للمرة الثانية repetitions وتعرف هذه الظاهرة باسم ظاهرة الاقتصاد في عدد المرات savings اللازمة لإعادة الحفظ.

عندما يتعلم المرء معلومات جديدة فإنها تتداخل مع المعلومات القديمة ، ويؤدى ذلك إلى نسيان المعلومات القديمة ، وتعرف هذه الظاهرة باسم نظرية التداخل بين المعلومات الجديدة والمعلومات القديمة المحفوظة في الذاكرة the interference theory.

وهناك التدخل الرجعى أي الذي يحدث بأثر رجعى retroactive interference أو الكف أو المنع أو التعطيل الرجعى أي الذي يحدث أثره بأثر رجعى retroactive inhibition والكف البعدي proactive interference of proactive inhibition في النوع الأخير من التدخل تعمل المعلومات القديمة على إعاقة عملية الحفظ للمادة الجديدة أو التذكر من جديد retrieve وخاصة إذا كانت المادة القديمة والمادة الجديدة متشابهتين.

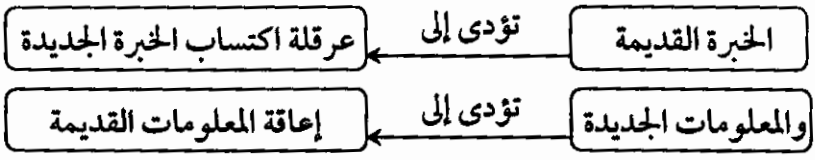


## تأثير عملية الكبت على نسيان المعلومات :

لقد ذهب سيجموند فرويد Sigmund Freud إلى القول بأن الإنسان ينسى الذكريات المؤلمة أو المحزنة أو المخزية أو المحرجة والأفكار غير المقبولة ، لأن تذكرها يسبب له الشعور بالقلق والشعور بالذنب والشعور بالحياء أو الخجل والعار . وهى معززات سلبية للنسيان أي أنها تساعد على النسيان negative reinforcements.

والإنسان يتحاشى التفكير في بعض الأحداث أو الأفكار السيئة . ولا شك أن عملية الكبت repression وهى عملية لا شعورية تؤدى إلى الإصابة بالأمينزيا التفككية dissociative amnesia أي فقدان الذاكرة التفككي . (Alloy: 1996: 275).

## الاضطرابات العضوية والاضطرابات الوظيفية:

يميل بعض علماء النفس إلى التمييز بين نوعين من الاضطرابات في التذكر والتعلم وهما:

( أ ) الاضطرابات العضوية أو البنائية organic structural disorders .

(ب) الاضطرابات الوظيفية functional disorders.

ولقد نشأ هذا التمييز في الواقع من وجهة نظر فلسفية بحتة ، تلك النظرة التي تعتبر الإنسان مكونًا من روح وجسد . وجريًا على هذا المنوال فإن الاضطرابات أو مظاهر الضعف التي تعزى إلى اضطرابات جسمية تسمى الاضطرابات العضوية ، أما الاضطرابات التي نلاحظها ولكن لا يوجد وراءها اضطراب عصبي تسمى الاضطرابات الوظيفية.

فالاضطرابات التي تحدث ولا نجد لها سببًا أو عطبًا في المخ فإننا نسميها اضطرابات غير عضوية أو وظيفية ، لأنه لا يقابلها أي إصابات في المخ.

هناك كثير من الاضطرابات التي تصيب الذاكرة من أخطرها حالة الأمينزيا Amnesia وحالة الباراميزيا paramnesia ويقصد بالأمينزيا حالة فقدان الذاكرة ، ويعنى ذلك أن المعلومات والمعارف والحقائق التي سبق أن حفظها الفرد قد ضاعت وأصبح من غير الممكن استدعائها . أما الحالة الأخرى فتشتمل على عدة أنواع مختلفة من اضطرابات الذاكرة . وعلى

حين نعتبر أن العجز عن استدعاء الذكريات يعتبر مرضًا ، فإن وجود حشد كبير من التفاصيل الدقيقة عن موضوع معين بالذاكرة يعد أيضًا انحرافًا عن المألوف.

وتعرف هذه الحالة باسم hypomnesia وفيها يهتم المريض بجمع تفاصيل حادث معين ودقائقه ، ومن أمثلة ذلك اللحظات الحرجة في وفاة شخص ما ، أو خبرات الفرد التي مر بها في حادث غرق أو حريق تعرض فيها للموت المحقق . ولقد روى للباحث شخص كان يحب زوجته حبًا عميقًا تفاصيل مذهلة عن حادث وضعها لأول مولود لهما وما صحبه من صعوبات .

## اضطرابات الأمينزيا Amnesia:

أشرنا إلى أن اضطرابات الأمينزيا يقصد به فقدان الذاكرة ، وعلى حد تعريف J.R.Strange يمكن أن يكون هذا الفقدان ناتجًا عن أسباب عضوية وقد يكون وظيفيًا فقط كما هو الحال في حالة الهستيريا . Amnesia: Loss of memory; may be functional, as in hysteria, or organic resulting from damage to the brain . (Strange: 1995: 150).

وقد يكون الاضطراب عضويًا ، بمعنى أنه نتيجة لوجود صدمات حدثت في المخ.

أما إنجلش فيشير إليها على أنها عجز أو نقص في الذاكرة ، وعدم القدرة على استرجاع الخبرات الماضية وخاصة في الحالات التي يكون فيها التذكر متوقعًا من الفرد ، كذلك يوجد منها حالات يكون العجز فيها عن التذكر منحصرًا في تذكر جانب واحد أو حادثة واحدة من الأحداث التي مرت بحياة الفرد ، وقد يكون فقدان الذاكرة كليًا total عندما ينسى الفرد كل خبراته السابقة ، وقد يكون جزئيًا partial ، وفي حالة فقدان الذاكرة الجزئي يكون هذا الفقدان انتقائيًا selective ، بمعنى أن النسيان يصيب أشياء معينة دون غيرها.

Lack of memory; or inability to recall past experiences, especially when recall is to be expected, of inability to remember events connected with the subject's past life . (English and English, 1998:25).

أما جيمس دريفر James Derver فيشير إلى أنواع فقدان الذاكرة ، فمنها الفقدان الكلي والجزئي ، ومنها الفقدان الموضعي localized وهو الفقدان الذي يحدث بالنسبة لفترة معينة من الزمن ، أو لمكان معين من الأماكن ، أو لمجموعة معينة من الخبرات ، وهناك فقدان الذاكرة الذي يحدث عقب وقوع حادث معين.

ويحدث النسيان ، في الغالب ، لمجموعة من الأحداث ذات الأثر الانفعالي العميق أو القوى في حياة الفرد . وفي الغالب ، ما يلجأ الفرد إلى النسيان رغبة منه في التخفف من حالة الحصر العنيف التي يعانى منها ، حيث يؤدى النسيان ، مؤقتًا ، إلى خفض حدة الحصر Anxiety . فحالات التوهان fugue أو الهروب flight دائمًا ما يصاحبها حالة فقدان ذاكرة ، فينسى المريض من هو ومن أين أتى ، ويهرب flees كلية من موقف قاس يعانى منه ، ويهدده أشد التهديد . وفي أثناء فترة التوهان أو الترحال flight أي في حالة التوهان عندما يختفي الفرد من مسكنه ، في هذه الحالة يشعر الفرد بالاضطراب والفوضى والدوخة Dazed ، وعندما يصل إلى نهاية رحلته بعيدًا عن مسكنه الأصلي ، فإنه يفيق من الاضطراب ولكنه يجد نفسه عاجزًا عن تذكر من هو ومن أين أتى.

ويرتبط بفقدان الذاكرة اضطراب آخر هو المشي أثناء النوم Somnambulistic, sleepwalking ويتضمن المشي ، ومناشط أخرى معقدة تحدث أثناء النوم ، ويمتاز هذا الاضطراب بفقدان المريض القدرة على تذكر أي عمل قام به وهو في هذه الحالة ، ويبدو أن الفرد يقوم بعمل بعض الأعمال بطريقة شعائرية وجامدة ، وتعبر عن بعض الأحداث المكبوتة عنده . ويشبه المشي أثناء النوم الأحلام فإن كلاهما رمزي symobic في طبيعته.

وعلى سبيل المثال فالشخص الذي يعانى من كبت شديد في الناحية الجنسية ربما يظل في أثناء النوبة يخرج ويدخل من أحد نوافذ الحجرة أو مناورها عدة مرات معبرًا بذلك عن النشاط الجنسي المكبوت ، وذلك للتعويض عن الفعل الجنسي الحقيقي ، وعندما يعود الفرد من هذه الحالة بمفرده أو بمساعدة الآخرين ، فإنه ينسى كليه كل ما فعله في أثناء النوبة.

ومن أشهر الاضطرابات النفسية وأكثرها أهمية بالنسبة للشخص العادي اضطراب انقسام الشخصية أو الشخصية المزدوجة dual or multiple personality ولقد أثار هذا الاضطراب خيال الروائيين والقصصيين فاهتموا بإخراج المسرحيات والروايات التي تعبر عن شخصيات من هذا النوع المزدوج ، وفي الحالات الإكلينيكية فإن الشخص الهستيري يجد راحة في الانتقال من شخصية على شخصية ثانية هروبًا من الحصر Anxiety الذي يعانى منه ، مع نسيان الشخصية الأولى أو الشخصيات الأخرى ، وليس من الضروري أن يكون الانتقال من شخصية إلى شخصية أخرى ، بل قد تتعدد هذه الشخصيات ، ففي حالة فتاة شابه تسمى

مس "بوكامت Miss Beauchamp" وجد المعالج أربع شخصيات عندها في أثناء فترة العلاج . فكانت هذه الفتاة تتقمص ، تارة شخصية الراهبة ، وشخصية واقعية ، وشخصية طفل ، وشخصية سيدة ماجنة . فشخصيتها "كراهبة" كانت تمتاز بأنها شخصية تقوم سلوكها بنفسها ، حية الضمير ، تمارس كبتًا جنسيًا ، ميالة نحو التصوف الديني ، ومثالية إلى أقصى درجة ، أما الشخصية الواقعية التي أظهرتها هذه المريضة كانت قادرة على الشعور بالرغبات الجنسية ، وقادرة على الاختلاط في حياة الناس . أما الشخصية الأخرى التي عانتها هذه المريضة فكانت تسمى سالي Sally وكان عبارة عن فتاة طفلية Childish ، غير ناضجة Immature وتمتاز "بالشيطنة" أو "العفرتة" Impish أي الشقاوة الزائدة.

ولم تكن تلك الشخصيات تعلم ببعضها عندها أو ترضى عن بعضها ، فكانت "سالي" تسخر من "الراهبة" اشد السخرية . (Strange: 1995: 150).

والواقع أن اضطرابات التفكك هذه Dissociative reactions لها شهرة كبيرة ويعتقد البعض أنها كثيرة الشيوع بين الناس ، ولكن في الحقيقة أنها لا تحدث إلا نادرًا ، ومن أهم هذه الحالات فقدان الذاكرة ، والتجوال ، وتعدد الشخصية.

والعرض الظاهر في كل من هذه الأعراض هو فقدان ذاتية الفرد The loss of personal identity ففي فقدان الذاكرة ، كما سبق القول ، فإن الشخص ينسى كل الخبرات المرتبطة بنوع من الذات Self أو الشخصية التي يريد أن ينساها . فإذا كانت شخصية تمتاز بارتكاب البغاء مثلاً فإنه ينسى هذه الشخصية ، ويتقمص شخصية أخرى ، ولكنه لا ينسى كل ما تعلمه ، فهو يظل مثلاً يتحدث نفس اللغة التي تعلمها من قبل.

وقد تدوم حالة فقدان الذاكرة عدة دقائق محددة أو ساعات أو أيام أو سنوات . وفي حالة دوام فقدان الذاكرة لمدد طويلة ، فإن الحالة تسمى حالة تجوال أو توهان fugue ، وكل من التوهان وفقدان الذاكرة يمثل حالة عصابية neurotic يهرب فيها الفرد من حالة لا يستطيع احتمالها intolerable.

وبالرغم من أن حالة النسيان تظهر فجأة ، إلا أن هناك في خلفية الحال تاريخ طويل من الحصر Anxiety ناتج عن حالة من الصراع العنيف severe conflict.وتصبح حالة الحصر هذه لا تحتمل إثر تعرض الفرد لازمة قاسية crisis في حياته الشخصية أو أثر تعرضه لموقف

خارجي صعب . وفقدان الذاكرة في هذه الحالة يستهدف حل المشكلة التي تحيط بالفرد . ومعظم هؤلاء المرضى كانوا يشعرون بالرغبة في الذهاب بعيدًا ، أو الهروب ، ونسيان الماضي والبداية من جديد . مثل هذه الأفكار تكون وسواسية ، ويحاول الفرد التخلص منها ، ولكنه لا يستطيع استبعادها من مجال ذاكراته.

وأقصى حالات تفكك الشخصية تظهر في حالة ازدواج الشخصية Multiple personality وفيها يرغب الفرد في التخلص من ذاته الأصلية ويعمل على أن يحل محلها ذات أو ذوات جديدة ، وهى عبارة عن الرغبة في الهروب من الصراعات ومن الماضي ومن تهديدات الحاضر . (Carroll, 1994:219).

وتصنف حالة فقدان الذاكرة ضمن الحالات الهستيرية مثل الصمم الهستيري والعمى الهستيري أو الشلل الهستيري ، وذلك لأن نسيان الفرد لفترة معينة من حياته أو حتى لذاته أو هويته identity يخدم نفس الأغراض التي تخدمها الأغراض الهستيرية ، وهى الابتعاد بالفرد عن شعوره بالحصر ويكون لا طاقة له به ، ولا قدرة له على احتماله Introblable anxiety .

والمعروف أن ردود الفعل الهستيرية ما هي إلا تعبير عن دوافع خفية مستترة ، ومن ردود الفعل الانحلالية dissociative فقدان الذاكرة لمدة طويلة أو قصيرة وخلالها يغير الفرد من ذاتيته وفي هذه الحالة يعانى من التوهان fugue ، وقد ينسى نفسه ويعبر عن شخصية أخرى جديدة،وغالبًا ما تكون الشخصية الجديدة مختلفة كلية عن الشخصية الأولى . وإذا عاد الفرد إلى شخصيته الأولى ثم كرر هذه العودة فإنه في هذه الحالة يعانى من حالة ازدواج الشخصية ، وليس النسيان في هذه الحالات إلا تعبيرًا عن صراعات الفرد الداخلية . (Edwards, 1999: 306).

# المبحث الثالث : تحريف الذكريات

## طرق قياس النسيان والتذكر:

هناك طرق ثلاث لقياس درجة الوعي أو النسيان:

### 1) عملية الاسترجاع :

وتتلخص في قياس قدرة الشخص على استرجاع درس حفظه أو قائمة من الأسماء أو الأرقام أو الصور بعد فترة معينة من الزمن ، ويلاحظ أنه إذا كان المطلوب قياس الحفظ عن ظهر قلب ، فيجب أن تكون المادة جديدة وغير مألوفة حتى لا يتدخل عامل المعنى أو الميل أو أثر المعلومات السابقة أو ما يعرف باسم عامل الألفة . وهنا يستخدم الباحثون قوائم من ألفاظ غير مترابطة أو مقاطع عديمة المعنى أو قائمة طويلة من الأرقام ، وذلك حتى يكون لدى الحافظ شيء يتعلمه ، وحتى يكون في موقف جديد عليه كموقف الفأر في المتاهة في تجارب التعلم بالمحاولة والخطأ.

### 2) عملية التعرف :

وفيها تعرض على المفحوص مادة معينة كمجموعة من الجمل أو من الصور الفوتوغرافية ، وبعد فترة تطول أو تقصر ، تعرض عليه نفس المجموعة ، وقد أضيفت إليها طائفة جديدة من الجمل والصور . وعليه أن يتعرف على ما سبق أن رآه في العرض الأول.

### 3) عميلة إعادة الحفظ :

وفيها يكلف المفحوص حفظ قائمة من الأرقام أو قصيدة من الشعر أو فقرة من فصل في كتاب حتى يتسنى له استرجاعها دون خطأ ، ثم يطلب إليه أن يسترجعها أو أن يتعرفها بعد فترات متفاوتة الطول ، بعد ساعة أو يوم أو عشرة شهور ، فإن عجز عن تذكرها ، كلف أن يعيد تحصيلها حتى يحفظها جيدًا . فإذا فرضنا أنه كررها في التجربة الأولى (50 مرة) ، وفي التجربة الثانية (10 مرات) فقط ، كان الرقم (40) مقياس الوعي والرقم (10) مقياس النسيان ، أي أنه نسى (20٪ من المادة).

وقد وجد أن الشعر المحفوظ ، حتى أن ترك (40) عامًا دون استرجاع ، فمن الممكن

حفظه مرة أخرى في وقت أقل من حفظ شعر جديد ، وحتى أن نسى الحافظ ما حفظه نسيانًا تامًا فإنه يجد سهولة نسبية في إعادة الحفظ.

ويتخذ العلماء هذه الظاهرة دليلاً على أن النسيان ليس إمحاء أو محو أو إزالة ما سبق اكتسابه بل مجرد صعوبة في تذكره.

أسفرت الدراسات التي أجريت على عملية النسيان عما يلي:

1) أن بين الناس فروقًا كبيرة من حيث قدرتهم على الوعي أو الحفظ ومن حيث سرعة النسيان.
2) إن العادات والمهارات الحركية أعصى على النسيان من المعلومات والمحفوظات اللفظية.
3) أن المبادئ والاتجاهات والأفكار العامة وطرق التفكير أعصى على النسيان من الوقائع والمعلومات . فنحن ننسى كثيرًا من المعلومات التي حصلناها في المدرسة ، لكننا نحتفظ بكثير من المهارات العقلية والاتجاهات العلمية التي اكتسبناها فيها كطرق الاستذكار المثمر والطرق الصحيحة لحل المشكلات العملية ومناهج البحث العلمي.
4) إن التعطيل ، بنوعيه ، يكون ضعيف الأثر إن تم تعلم المادتين في وقت واحد.
5) إن المادة المفهومة ذات المعنى والمادة التي أشبع حفظها يكون نسيانها أبطأ من غيرها . ويقصد بإشباع الحفظ ألا يكف الحافظ عن الحفظ بمجرد شعوره بأنه حفظ أو بمجرد قدرته على التسميع المباشر . إننا ننسى حوالي (60٪) من المواد التي لم نشبع حفظها أو التي حفظناها حفظًا سطحيًا بعد يوم واحد من حفظها.
6) إن نوع النشاط الذي يمارسه الفرد بعد الحفظ أو التحصيل يؤثر إلى حد ما في درجة النسيان.
7) إن النسيان أثناء النهار أسرع منه أثناء النوم.
8) إن النسيان يكون سريعًا جدًا في أول الأمر أي بعد الحفظ والتحصيل حتى لقد يفقد المرء نصف ما حفظه خلال العشر ساعات الأولى من حفظه ، ثم يأخذ النسيان في التباطؤ تدريجيًا بمرور الزمن حتى يصبح في النهاية بطيئًا جدًا.
9) ولم تؤيد التجارب الرأي الشائع بأن من يحفظ سريعًا ينسى سريعًا،فإن كانت سرعة الحفظ ترجع إلى يقظة الحافظ وانتباهه إلى الحقائق والعلاقات فيما يحفظ ، كان حفظه أثبت ممن يحفظ ببطء لعدم انتباهه أو ضعف ذكائه.

**عميلة الاسترجاع أو التذكر :**

الاسترجاع هو استحضار الماضي في صورة ألفاظ أو معان أو حركات أو صور ذهنية ، وقد يكون جزئيًا أو كليًا ، ناقصًا أو مكتملاً.

فالاسترجاع المكتمل أو الاستدعاء recollection هو استرجاع تكون فيه الذكريات محدودة في الزمان والمكان ، فقد أستطيع استرجاع أسم شخص أو بيتًا من الشعر ، لكنى لا أستطيع أن أتذكر متى حفظت هذا البيت أو أين رأيت هذا الشخص ، وفي أي مكان حفظت البيت أو رأيت الشخص . فالاستدعاء استرجاع وتحديد في الزمان والمكان.

وقد يكون الاسترجاع استجابيًا مقصودًا أو تلقائيًا يحدث دون مؤثر ظاهر ودون قصد كوثوب اسم شخص أو أغنية إلى الذهن دون مناسبة صريحة لظهورها ، وكذلك الأحداث الهامة التي لا نعيرها انتباهًا في زحمة أعمالنا اليومية لكنها سرعان ما تطفو وتستحوذ على أذهاننا في لحظات الاسترخاء.

**القصور النفسي:**

وقد يتخذ الاسترجاع التلقائي شكل ميل قسري إلى استرجاع الأفكار والمشاعر دون مؤثر ترابطي ظاهر ، كما هي الحال في القلق الموضوعي الذي يفرض نفسه علينًا فرضًا ويشغل بالنا حين لا نتم الأمور التي بدأناها أو التي ننتظرها كما نريد ، وكتلك الأحلام التي تتكرر رؤيتنا لها أيامًا أو أسابيع متتالية ، يدور فيها الحلم حول مشكلة معلقة يستعصى علينا حلها.

وغالبًا ما ينتهي الحلم حين تحل المشكلة ، ويسمى هذا الميل إلى استمرار النشاط حتى ينتهي ، حسيًا كان أم حركيًا أو انفعاليًا ، يسمى الاستمرارية أو القصور النفسي perseverace وهى يبدو بشكل واضح حين يحال بين الفرد أن يتم عملاً بدأه أو انهمك في إنجازه ، أو حين تحول الظروف دون حل مشكلة عرضت له ، أو دون التعبير المناسب عن انفعالاته بالقول أو الفعل ، فإذا به يظل يجتر الانفعال ، وهو في حالة موصولة من التوتر لا تنتهي حتى يتاح له إتمام عمله ، أو حل مشكلته ، أو التعبير عن انفعاله . وهنا يبدو ما بين ظاهرة الاستمرارية ومبدأ استعادة التوازن من تشابه . (راجح : 1994: 316).

## صعوبات تواجه عملية الاسترجاع:

1) التحصيل وحده لا يضمن الاسترجاع ، فقد يكون الذهن حاشدًا بالمعلومات ، لكن على صورة مهوشة غير مرتبة ، بحيث يشق على الفرد أن يتذكر ما حصله حين يحتاج إليه ، وهو في ذهنه . بل إن الاسترجاع ليس نتيجة حتمية للوعي الجيد أي الحفظ الجيد ، فقد نعرف اسم شخص لكننا لا نستطيع استرجاعه الآن ، بل فيما بعد ، وكثير من الطلبة يعرفون الإجابة على أسئلة الامتحان ، لكنهم في زحمة الامتحان يدلون بإجابات خاطئة أو لا يتذكرون الإجابات الصحيحة ، إلا بعد انتهاء الامتحان ، كذلك الحال في تهيب الخطيب من الجمهور ، وخجل الفتى من محادثة الفتاة ، والصدمات الانفعالية التي يكبتها الفرد فينساها ، ومع هذا فهو يراها أو يتحدث عنها في أثناء نومه أو يسترجعها بوضوح بعد شفائه... ويسمى هذا بالتعطيل الانفعالي . (راجح: 1994: 317).

2) والتدخل من العوامل التي تعطل الاسترجاع ، فقد يحاول الفرد أن يسترجع اسم شخص معين فتثور في ذهنه عدة أسماء يضرب بعضها بعضًا فيستعصى استرجاع الاسم المنشود ، وقد تعرض للخطيب في آن واحد طريقتان للتعبير عن نفس الفكرة فإذا به يتردد.

3) وقد يكون الإصرار على الاسترجاع معطلاً للاسترجاع خاصة إن كان الإصرار في اتجاه خاطئ ، فالملاحظ أن الإنسان إن استعصى عليه استرجاع اسم شخص أو تاريخ أو حادثة وأصر على استرجاعه لم ينفع هذا الإصرار . فإن ترك هذه المحاولة وأعمل فكره في موضوع آخر ، فقد يثب الاسم إلى ذهنه من تلقاء نفسه أو يهبط على ذاكرته ، ولهذا السبب نفسه يطلب المحلل النفسي على المريض أثناء جلسات التحليل النفسي أن يضطجع على أريكة مريحة وأن يسترخي حتى يتسنى له أن يطلق العنان لخواطره وأفكاره وإن يذكر كل ما يطرأ على ذهنه من ذكريات قديمة ، وخاصة تلك الذكريات المرتبطة بالطفولة أو بالأحداث الصادمة التي مر بها كأن يكون قد تعرض للغرق أو للحريق.

## العوامل التي تساعد على حدوث عملية الاسترجاع الجيد:

هناك عوامل كثيرة ذاتية ، وموضوعية تيسر عملية الاسترجاع من أهمها:

الاهتمام ، والحاجة ، والجهد ، والوجهة الذهنية ، والقصور النفسي واكتمال الملابسات والظروف والعوامل المدركة.

**1) الوجهة الذهنية mental set أو الاتجاه العقلي للفرد :**

ويقصد بها استعداد الفرد وتأهبه للقيام بنشاط معين ، ذهنيًا كان أم حركيًا . ويبدو أثره حين نذكر أن ما ينساه الطلبة من المواد بعد الامتحان أكثر كثيرًا مما ينسونه قبيل الامتحان وهم في حالة تهيؤ شديد لاسترجاعه . وقد وجد أن الطلبة الذين يهيئون لاسترجاع مادة معينة في وقت معين يكون استرجاعهم لها أكثر وأحسن مما لو استرجعوها وهم لا يتوقعون أن نطلب إليهم استرجاعها . (راجح: 1994: 318).

**2) الاستمرارية :**

لا شك أن لدى الإنسان ميلاً قويًا إلى الاستمرار في نشاطه متى بدأ هذا النشاط حتى ينتهي ، ذلك أن الأعمال المبتورة تخلق في نفسه توترات لا تزول إلا أن أتم هذه الأعمال ، وأغلق دائرة نشاطه . وقد أجريت دراسة ميدانية أوضحت أن الأعمال المبتورة أسهل استرجاعًا من الأعمال المكتملة ، فقد كلفت مجموعة من الأشخاص القيام بأعمال بسيطة مختلفة عددها عشرون ، ككتابة قصيدة معروفة من الذاكرة ، وعمل تماثيل صغيرة من الصلصال ، ورسم إناء به زهور،وحل لغز ، وعمليات حسابية هي ضرب بسيطة . وبينما هم منهمكون في أعمالهم هذه إذا بالباحث يطلب إلى فريق منهم الكف عن العمل قبل أن يتموه ، بينما سمح للباقين أن يمضوا في أعمالهم حتى النهاية (راجح: 1994: 319).

وبعد ذلك طلب إلى أفراد المجموعة كلها أن يتذكروا جميع الأعمال التي طلب إليهم القيام بها ، فكان الفريق الأول أكثر حفظًا وتذكرًا من الفريق الثاني ، وبعبارة أخرى ، فالأعمال المبتورة كانت أيسر استرجاعًا ، لأن التوتر القائم وراءها لم يستهلك . ولعل في هذا درسًا يفيد منه المعلمون والمحاضرون . فالدروس التي تثير اهتمام الطلاب دون إجابة على كل ما تتطلبه من أسئلة أو التي تحملهم على إكمال معلوماتهم عنها من المراجع تكون أسهل في التذكر من الدروس المكتملة التي ترضي استطلاعهم بما ليس بعده مزيد.

لذا يحسن أن يعود المدرس الدروس والمحاضرات بحيث تجعل الطلاب في حالة تأهب للمزيد عليها والإضافة إليها كي تعيش في ذاكرتهم بعد الخروج من الدروس ، وتثير في نفوسهم عددًا من علامات التعجب والاستفهام.

**3) استكمال الملابسات والظروف التي تم فيها الإدراك الأولى :**

إن وجود الفرد في نفس المجال الذي اكتسب فيه الذكرى يعينه على استرجاعها . فقد تعجز عن تذكر اسم شخص تراه في بيئة جديدة ، بينما تستطيع تذكر اسمه في بيئته العادية ، ولذلك فإن إحضار الشاهد في التحقيقات الجنائية إلى مسرح الجريمة أو إلى مكان الجريمة قد يثير في ذهنه سلسلة جديدة من الذكريات والخواطر المتصلة بها . والتلميذ الذي تعلم تلاوة نشيد معين وهو واقف قد يعز عليه تذكره وهو جالس أو هو أمام حفل من الناس ، وقد دل التجريب على أن أداء الطلاب للامتحان يكون أحسن حين يجرى في نفس المكان الذي تلقوا فيه دروسهم.

**العوامل التي تؤدى إلى تحريف الذكريات:**

ليست الذكريات أشياء محفوظة في صندوق ، وليست صورًا مثبتة على شريط سينمائي ، بحيث يمكن استرجاعها بنصها وشكلها كما كانت في الأصل كاملة دقيقة ، بل الأمر على خلاف ذلك إذ تبدأ الذكريات في التغير والتحور ، عقب الإدراك مباشرة ، فإن كان الإدراك الأصلي للموقف أو المنظر أو الحادثة إدراكًا غير صحيح أو غير دقيق نجم عن ذلك حذف بعض التفاصيل أو إضافة أخرى . (راجح: 1994) ، ويتخذ التحريف صورًا عدة منها الحذف والإضافة ، وتضخيم بعض التفاصيل أو الغض منها ، واختيار بعضها دون بعض ، وسد ما بالذكرى من ثغرات ، وإفراغ معنى على ما ليس له معنى.

ويحدث هذا بالفعل عوامل شتى ونستطيع أن نقول أن الذكريات التي نسترجعها لا تكون صورًا طبق الأصل من أصولها إطلاقًا ، بل قد يبلغ التحريف حدًا يباعد بين الذكرى وأصولها ، بعد النقيضين فيما يصفه أحد الباحثين فيقول:

شتان بين ذاكرتي ومذكرتي ، إن رجعت إلى مذكرتي وجدتني شخصًا ساخطًا جزعًا متبرمًا بالحياة لا أجد لذة فيها ، فإن سألت ذاكرتي لم أر إلا أيامًا جميلة وحياة تشع بالرضا والحب.

وقد رأى بعض العلماء أن يبرز أثر العوامل التي تؤدى إلى تحريف الذكريات بإجراء تجارب قوامها عرض أشكال بسيطة لا معنى لها ، تعرض لمدة وجيزة ، (15) ثانية مثلاً ليفحصها الشخص ثم يعيد رسمها من الذاكرة إذ لو كانت الأشكال المعروضة أشكالاً

هندسية مألوفة كالمربع أو الدائرة لم يجد الشخص صعوبة في إعادة رسمها ولو كانت رسمها لكلب أو زجاجة أو شيء مألوف حفظ المفحوص اسمها ورسمها دون نقص أو تحريف.

ولكن بما أن الأشكال المعروضة لا معنى لها كانت مهمته أصعب ، وقد خرج العلماء من هذه التجارب بتأكيد عدة عوامل تعمل على تحريف الذكريات من أهمها:

1) عامل التسوية **Leveling** : وهو عامل يميل الفرد فيه إلى سد الثغرات وإكمال النقص فيما يسترجع ، وكذلك إلى تنظيمه وتنسيقه وحذف التفاصيل غير المفهومة منه ، وتبسيطه . (راجح: 1994).

2) عامل الإرهاف أو التحمية **Sharpening**: عكس العامل السابق ، وقد يقترن به ، ويتلخص في إبراز بعض العناصر والمبالغة فيها وتوكيد العناصر التي تؤثر في الشخص تأثيرًا خاصًا ويبدو أثر هذين العاملين معًا.

3) عامل التمثيل **Assimilation**: أو الهضم أو الاستيعاب ويتلخص في تحويل الأشياء غير المألوفة إلى أشياء يألفها الشخص وإفراغ معنى على ما ليس له معنى . (راجح: 1994) .

وقد وجد أن هذه العوامل نفسها تؤدى إلى تحريف ما يدور على ألسنة الناس من قصص وإشاعات ، خاصة عامل التمثيل الذي ينجم عنه تحريف الذكريات وفق ميول الفرد ومعتقداته وانحيازاته وما يؤمن به من قيم . فالشائعة لا تصل إلى آخر فرد ترد إليه بنفس الصورة التي صدرت بها من الشخص الذي روجها.

## المبحث الرابع : مبحث شهادة شهود العيان أمام الهيئات القضائية

### الوضع القانوني للشاهد والعوامل النفسية المؤثرة في شهادته:

يشتمل القانون المصري في شأن شهادة الشهود على أحكام مستوحاة من حقائق علم النفس القضائي ، وذلك وفقًا لما يقرره أ.د/ رمسيس بهنام ، وهذه الأحكام إما جزائية وتنتمي ، بهذه المثابة ، إلى علم النفس الجنائي ، وإما وقائية ، والواقع أن شهادة الشاهد تتأثر بكثير من المؤثرات النفسية والعقلية والتي تتضمنها عمليات الانتباه والإحساس والإدراك الحسي والتذكر والتفكير بل وظروف الصحة والمرض.

### الأحكام الجزائية:

تختلف العقوبات المقررة على الشهادة الزور باختلاف ظروف الشاهد والشهادة ، وموضوع الدعوى التي يدلى بشهادته بشأنها.

وكما يحدد قانون العقوبات المصري عقوبة شهادة الزور واليمين الكاذبة على النحو التالي:

**مادة (294) :**

"كل من شهد زورًا لمتهم في جناية أو عليه يعاقب بالحبس".

فالعقوبة مفروضة على شهادة الزور سواء أكانت ضد المتهم أو كانت لصالحه.

**مادة (295) :**

"ومع ذلك إذا ترتب على هذه الشهادة الحكم على المتهم يعاقب من شهد عليه زورًا بالأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن .

أما إذا كانت العقوبة المحكوم بها على المتهم هي الإعدام ونفذت عليه يحكم بالإعدام أيضًا على من شهد زورًا" .

فعقوبة الشهادة الزور تتوقف على حجم الضرر والإيذاء الناجم عنها ، حيث تصل إلى حد الإعدام ، إذا كانت الشهادة الزور قد أدت إلى توقيع عقوبة الإعدام على من تمت الشهادة زورًا ضده .

**مادة (296) :**

"كل من شهد زورًا على متهم بجنحة أو مخالفة أو شهد له زورًا يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين".

وفي حالة ما تكون الجريمة مخالفة أو جنحة تكون أقصى عقوبة هي سنتان حبسًا .

**مادة (297) :**

"كل من شهد زورًا في دعوى مدنية يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين".

وتكون أقصى عقوبة يقضى بها في الدعوى المدنية هي سنتان.

**مادة (298) :**

"إذا قبل من شهد زورًا في دعوى جنائية أو مدنية عطية أو وعدًا بشيء مما يحكم عليه هو والمعطى أو من وعده بالعقوبات المقررة للرشوة أو للشهادة الزور إن كانت هذه أشد ، وطلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعدًا أو عطية لأداء الشهادة زورًا بشأن حمل أو مرض أو عاهة أو وفاة أو وقعت منه الشهادة بذلك نتيجة لرجاء أو توصية أو وساطة يعاقب بالعقوبات المقررة في باب الرشوة أو في باب شهادة الزور ويعاقب الراشي والوسيط بالعقوبة المقررة للمرتشي أيضًا"

**مادة (299) :**

"يعاقب بالعقوبات المقررة لشهادة الزور كل شخص كلف من سلطة قضائية بعمل الخبرة أو الترجمة في دعوى مدنية أو تجارية أو جنائية فغير الحقيقة عمدًا بأي طريقة كانت".

**مادة (300) :**

"من أكره شاهدًا على عدم أداء الشهادة أو على الشهادة الزور يعاقب بمثل عقوبة شاهد الزور مع مراعاة الأحوال المقررة في المواد السابقة".

**مادة (301) :**

"من ألزم باليمين أو ردت عليه في مواد مدنية وحلف كاذبًا يحكم عليه بالحبس ، ويجوز أن تزاد عليه غرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصري".

## الأحكام الوقائية :

وتنص المادة (278) من قانون الإجراءات الجنائية على أنه "ينادى على الشهود بأسمائهم ، وبعد الإجابة منهم يحجزون في الغرفة المخصصة لهم ، ولا يخرجون منها إلا بالتوالي لتأدية الشهادة أمام المحكمة ، ومن تسمع شهادته منهم يبقى في قاعة الجلسة إلى حين إقفال باب المرافعة ما لم ترخص له المحكمة بالخروج ، ويجوز عند الاقتضاء أن يبعد شاهد أثناء سماع شاهد آخر ، وتسوغ مواجهة الشهود بعضهم ببعض" وذلك حتى لا يدلى الشاهد بما قاله لبقية الشهود أو حتى لا يطلعهم على الأسئلة التي طرحت عليه.

وتنص المادة (286) على أنه "يجوز أن يمتنع عن أداء الشهادة ضد المتهم أصوله وفروعه وأقاربه وأصهاره إلى الدرجة الثانية وزوجته ، ولو بعد انقضاء رابطة الزوجية ، وذلك ما لم تكن الجريمة قد وقعت على الشاهد أو على أحد أقاربه أو إصهاره الأقربين أو إذا كان هو المبلغ عنها ، أو إذا لم تكن هناك أدلة إثبات أخرى" .

ومفاد هذه المادة أن يجوز أن يمتنع عن أداء الشهادة ضد المتهم:

1) أصوله أي أبوه وإن علا وأمه وأصولها.
2) فروعه أي ابنه وحفيده وحفيد حفيده وابنته وأولادها وأولاد أولادها.
3) أقاربه وأصهاره إلى الدرجة الثانية أي إخوته وأخواته وإخوة زوجته وأخواتها.
4) زوجته ولو بعد انقضاء رابطة الزواجية.

وبناء على ذلك ، فلا يجوز أن يمتنع عن الشهادة ضد المتهم ابن عمه مثلاً أو ابن عمته وابن خاله وابنة خالته ومن إليهم ممن لم يرد ذكرهم في نص المادة سالفة الذكر.

بل إنه حتى من ذكروا في المادة وهم الأصول والفروع والأقارب والأصهار إلى الدرجة الثانية والزوجة ، يتعين عليهم أن يشهدوا ولو ضد المتهم في الحالة الآتية:

1) أن تكون الجريمة المنسوبة إلى المتهم قد وقعت على من طلب للشهادة منهم أي إذا كان مجنيًا عليه.
2) أن تكون الجريمة المنسوبة إلى المتهم قد وقعت على أحد أقرباء من طلب للشهادة منهم أو على أحد أصهاره الأقربين.
3) أن تكون الجريمة المنسوبة إلى المتهم قد أبلغ بها واحد من أولئك ومن ثم تعين عليه أداء الشهادة في موضوع بلاغه.

4) ألا تكون هناك أدلة إثبات أخرى للجريمة المنسوبة إلى المتهم غير الأقوال المحتمل أن يدلى بها أحد من أولئك الجائز امتناعهم عن الشهادة ضده أصلاً ، وعندئذ يزول جواز هذا الامتناع ويصبح أداؤهم للشهادة على العكس واجبًا وأحالت المادة (287) من قانون الإجراءات الجنائية على قانون المرافعات فيما يتعلق بقواعد منع الشاهد من أداء الشهادة أو إعفائه من أدائها.

فتنص المادة (65) من القانون رقم 25 لسنة 1968 بإصدار قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية على أنه:

"الموظفون والمكلفون بخدمة عامة لا يشهدون ولو بعد تركهم العمل عما يكون قد وصل إلى علمهم في أثناء قيامهم به من معلومات لم تنشر بالطريق القانوني ولم تأذن السلطة المختصة في إذاعتها ومع ذلك فلهذه السلطة أن تأذن لهم في الشهادة بناء على طلب المحكمة أو أحد الخصوم".

وتنص المادة (66) على أنه:

" لا يجوز لمن علم من المحامين أو الوكلاء أو الأطباء أو غيرهم من طريق مهنته أو صنعته بواقعة أو بمعلومات أن يفشيها ولو بعد انتهاء خدمته أو زوال صفته ما لم يكن ذكرها له مقصودًا به ارتكاب جنائية أو جنحة.

ومع ذلك يجب على الأشخاص المذكورين أن يؤدوا الشهادة عن تلك الواقعة أو المعلومات متى طلب منهم ذلك من أسرها أو ذكرها أو سردها إليهم على ألا يخل ذلك بأحكام القوانين الخاصة بهم.

وتنص المادة (67) على أنه:

" لا يجوز لأحد الزوجين أن يفشى بغير رضاء الآخر ما أبلغه إليه أثناء الزوجية ولو بعد انفصالهما ، إلا في حالة رفع دعوى من أحدهما على الآخر أو إقامة دعوى على أحدهما بسبب جناية أو جنحة وقعت منه على الآخر"

والمقصود بكل تلك القواعد تحديد الحالات التي لا يعاقب الشاهد فيها على امتناعه عن أداء اليمين أو عن الإجابة ، مع أن هذا الامتناع جريمة طبقًا للمادة (284) من قانون الإجراءات الجنائية.

وتنص المادة (283) من قانون الإجراءات الجنائية على أنه "يجب على الشهود الذين بلغت سنهم أربع عشرة سنة ، أن يحلفوا يمينًا قبل أداء الشهادة على أنهم يشهدون بالحق ولا يقولون إلا الحق.

ويجوز سماع الشهود الذين لم يبلغوا أربع عشرة سنة كاملة بدون حلف يمين على سبيل الاستدلال.

وتنص المادة (290) على أنه:

"إذا قرر الشاهد أنه لم يعد يذكر واقعة من الوقائع يجوز أن يتلى من شهادته التي أقرها في التحقيق أو من أقواله في محضر جمع الاستدلالات الجزء الخاص بهذه الواقعة.

وكذلك الحال إذا تعارضت شهادة الشاهد التي أداها في الجلسة مع شهادته أو أقواله السابقة".

ويقول أ.د/ رمسيس بهنام أن هناك ضرورة لاقتراح أحكام يجب إدخالها في القانون المصري لما فيها من تحوطات وقائية:

1) أنه تنظيمًا لعملية العرض في سبيل التعرف "يجب عرض المتهم ضمن أشخاص آخرين يوجد بينهم وبين المتهم شبه ، وأن يترك للمتهم اختيار المكان الذي يقف فيه ضمن هؤلاء الأشخاص.
2) إنه ضمانًا لصحة التعرف "يسأل المحقق الشاهد الذي تعرف على شخص الجاني ضمن أشخاص عرضوا عليه عما إذا كان قد سبق أن عرضت عليه صور فوتوغرافية تعرف على الجاني في واحدة منها ، وذلك للتيقن عما إذا كان التعرف سابقًا على عملية العرض أم أنه كان ثمرتها هي دون سواها (بهنام ، رمسيس ، 1979).

## شهادة الشهود أمام الهيئات القضائية وسلطات التحقيق:

دلت نتائج التجارب التي أجريت في هذا الموضوع على أن صدق الشهادة أمر نادر وشاذ لا يتفق مع توكيد الشاهد وشعوره اليقيني حول صحة شهادته ، ومن هذه النتائج أيضًا:

1) أن كثيرًا من أخطاء الشهادة يرجع إلى إدراك حسي مضطرب وغير دقيق للحادثة نتيجة التأثر الانفعالي للشاهد في أثناء إدراكها . ومعروف علميًا أن عملية الإدراك تتأثر بالظروف الانفعالية والصحية للمدرك.
2) أن أكثر الأخطاء شيوعًا في الشهادة هو حذف التفاصيل المرتبطة بالواقعة أو الحادثة.

3) أما التحريف فهو إضافة تفاصيل لم تقع ضمن الحادثة وهذا التحريف أقل شيوعًا من حذفها . فحذف تفاصيل الوقائع أكثر من الإضافة إليها.

4) أن الشاهد الذي يذكر التفاصيل بحذافيرها ودقائقها أو تفاصيلها ، فهذا يدعو إلى الظن أو الشك بأنه شاهد زور.

5) أن تقارير الشهود عن الأشياء والأشخاص ونشاطهم أدق من تقاريرهم عن صفات الأشياء والأشخاص ومميزاتهم.

6) أن تكرار سؤال الشاهد يزيد من مقدار تفاصيل شهادته ، ولكنه يزيد أيضًا من أخطائه . فالشهادات التي تتخللها أسئلة المحقق أقل قيمة من الشهادة دون مقاطعة ، ويتوقف عدد الأخطاء ، إلى حد كبير ، على درجة الإيحاء في الأسئلة التي توجه إليه . والأسئلة الإيحائية عامل هام في تحريف الشهادة ، كأن يقال للشاهد: هل كان المتهم يلبس معطفًا أزرق أو أسود في حين أنه لم يكن يرتدي معطفًا.

7) إن تقديرات الشهود عن الزمان والمسافات خاطئة إلى حد كبير.

8) كلما طال الزمن بين الحادثة والشهادة ، زادت الشهادة تحريفًا وزاد يقين الشاهد في الوقت نفسه.

9) أن الشهادة أن اقتصرت على الأشياء التي يوقن الشاهد بحدوثها أو وجودها ، زاد صدقها بعض الشيء.

10) إن السماح للشاهد بتكرار شهادته يزيد من شعوره اليقيني ومن صدق شهادته ، دون أن يزيد من صدق شهادته واقعيًا لدى المحقق.

11) كلما كثر عدد الشهود قلت قيمة الشهادة إذا تناقضت هذه الشهادات أو الأقوال إزاء حادثة معينة.

## العوامل المؤثرة في عملية التحريف :

1) عدم توفر الإدراك الدقيق للموقف الأصلي ، إلى جانب احتمال كون الإدراك نفسه محرفًا بفعل العوامل الذاتية لدى الشخص المدرك ، والتي تؤثر في عملية الإدراك ومنها الاضطراب النفسي أو حالة الانفعال الشديد كالخوف أو عوامل التوقع أو الإيحاء أو المرض النفسي أو العقلي ومقدار ذكاء الفرد وسلامة حواسه.

2) ولا شك أن ما لدى الفرد من ميول ، واتجاهات ، وتوقعات ، وانحيازات ، وتعصبات وهلاوس وخداعات بصرية وسمعية لا يؤثر فقط في إدراكه بل وفي تذكره أيضًا.

فقد أجريت تجربة عرضت فيها لبرهة وجيزة صورة لمنظر مشاجرة في أحد أحياء مدينة أمريكية ، وكان من بين ما فيها منظر رجل أمريكي أبيض يطعن زنجيًا بسكين . فلما طلب من المشاهدين استرجاع ما رأوه في الصورة قرر أغلب عينه "البيض" أن الزنجي هو الذي كان يمسك بالسكين وهو الذي طعن الضحية ، وذلك انعكاسًا لا تجاه تعصب الرجل الأبيض نحو السود الزنوج وتعبيرًا عن كراهية البيض للسود.

3) كما أن مرور الزمن قد يؤدى إلى نسيان فعلى لبعض التفاصيل التي أدركها الفرد إدراكًا صحيحًا ، ومتى حدث هذا النسيان ، فلدى الإنسان ميل قوى إلى سد الثغرات وإفراغ معنى على الأشياء والمواقف التي لا معنى لها ، وتصنيف الأشياء المبعثرة ، وتنظيمها ، ويعبر عن ذلك بقانون الإغلاق وقانون التنظيم ، وربما كان هذا من أهم العوامل في تحريف شهادة الشهود أمام الهيئات القضائية حين يروى الشاهد ، عن غير قصد ، ما يراه معقولاً أو محتملاً وليس ما رآه بالفعل في مسرح الجريمة.

4) ولابد من أن يؤخذ في الاعتبار أثر الحالة الجسمية والمزاجية في الاسترجاع أو التذكر ومنها التعب ، والمرض ، والانفعال ، والتحمس ، وقلة النوم والجوع والعطش والخوف ، فنحن في حالة الحزن تراودنا الذكريات الحزينة ، وفي حالة الغضب ننسى ما يتسم به خصمنا من محاسن ومزايا لأن الانفعال يشوه الإدراك ويشوه الذكريات أيضًا.

5) ومن عوامل التحريف في الشهادات القضائية بالذات اختلاط ما سمعه الشاهد أو رآه بما سمعه من الناس أو قرأه في الصحف ، وعدم تعمده تذكر ما رآه من تفاصيل الحادثة ، وثمة فارق بين التعلم العرضي والتعلم المقصود ، ولذلك لا يثق القضاء في الروايات المنقولة عن الغير.

من هذا نرى أن عملية الاسترجاع ليست مجرد استحضار لصور مخزونة في مستودع الذاكرة بل هي عملية اختيار وتنظيم وخلق واختلاق ، ولو صحت النظرية التي ترى أن الذكريات تسجل في الجهاز العصبي ، كما تسجل الصور الفوتوغرافية على الشريط السينمائي لكانت الذكريات المسترجعة صورًا طبق الأصل من أصولها . (راجح: 1994).

## تأثير التنويم المغناطيسي على دقة الشهادة :

ويزداد المسألة خطورة إذا تم استخدام التنويم المغناطيسي في الإيحاء إلى الشاهد بالإدلاء بشهادة معينة . وقد يجعل التنويم الشاهد يتخيل أحداثًا على أنها وقعت فعلاً وقد يدلى الفرد وهو تحت تأثير التنويم المغناطيسي بأمور خيالية أو وهمية على أنها وقائع وأحداث حقيقية ، في حين أنها مجرد إيحاءات من المنوم.

وهناك مشاكل تتعلق بعملية التعرف على المجرمين ، فقد يهتم الشاهد بملابس المتهم أكثر من صفاته الأخرى الأكثر أهمية ، مثل ملامح وجهه وطول قامته ووزن جسمه.

في إحدى الدراسات تعرف الشهود على الجاني خطأ ، لأنه كان يرتدى النظارة والقميص اللذان كان يرتديها الجاني في الفيلم ، وكان التعرف على المجرم الحقيقي الذي ارتكب الجريمة أقل من التعرف على هذا الرجل.

## المشاكل التي تواجه شهادة شهود العيان :

ولقد أدرك العلماء وجود المشاكل الآتية التي تتعلق بشهادة شهود العيان ، من ذلك المشاكل الآتية:

1) التعرف على المشتبه به يكون أقل دقة عندما ينتمي المشتبه به على جماعة من جماعات الأقلية العرقية أو الجماعات السلالية تلك الجماعات العرقية التي يختلف عنها أشاهد من حيث سلالته.

2) يحدث اضطراب في عملية التعرف على المشتبه فيه identification of the suspects عندما يستعمل المحقق أسئلة تعطى إيحاءات خاطئة when the interrogators make misleading suggestions.

3) المحققون يثقون في الشهود عندما يقرر هؤلاء الشهود أنهم متأكدون من صحة شهاداتهم ، ولكن لا توجد أدلة تؤكد أن هذه الشهادات دقيقة فعلاً.

والحقيقة أن رجال القضاء يواجهون أزمة من حيث أنه من المقرر أن الذكريات يتم تشويهها distorted عن طريق خطة الإنسان أي عن طريق الطريقة التي ينظم بها الإنسان خبراته . كذلك فإن الأسلوب الذي يتم به توجيه الأسئلة للشهود يؤثر في عملية الاسترجاع أو تجميع الذكريات أو الذاكرة recollections.

كذلك فبعض الشهود لا يعيرون كثيرًا من الانتباه نحو السمات أو الصفات الثابتة في شخصية المتهم عندما يحاولون التعرف على المجرمين . ولكن هناك كثيرًا من الباحثين في هذا الحقل الذين يقررون أنه في الإمكان تحقيق الدقة في شهادة شهود العيان ، وذلك عندما تتفق شهادات شهود العيان مع بعضها بعضًا وكذلك فإنه يمكن التعرف على المشتبه فيه بطريقة أدق وأنه سوف يدان عندما يتفق الشهود المستقلين ، وعندما تؤكد شهادة الواحد من هؤلاء الشهود شهادات الآخرين أي ما يعبر عنه بعدم تناقض شهادات الشهود ، كذلك فإنه يمكن زيادة دقة شهادة شهود العيان عندما تتناول الأسئلة المطروحة بكل دقة مسرح الجريمة ، وعندما تتجه الأسئلة لسؤال الشاهد ليصف ما الذي حدث بدلاً من أن يوجه إليه الإيحاءات . ويمكن عرض مجموعة من الناس على الشهود ليس من بينهم أي من المشتبه فيهم إذا لم يتعرف الشهود على أحد ، وبعد ذلك تعرض عليهم مجموعة من الأشخاص ومن بينهم المشتبه به ، فإن تعرفهم يكون أكثر دقة.

ولقد تبين أن عملية التعرف على المشتبه فيه تكون أدق إذا عرض البوليس المشتبه بهم في صفوف من الناس على التوالي وليسوا دفعة واحدة في عرض واحد.

وعلى كل حال ، هناك وسائل وإجراءات من الممكن أن تجعل شهادة شهود العيان أكثر دقة،وشهادة شهود العيان ضرورة لا مفر منها ، وإذا تم إلغاء استخدامها ، فسوف نرى كثيرًا من المجرمين طلقاء.

## حجم محتوى الذاكرة :

ويتساءل كثير من الباحثين عن حجم ما يمكن تخزينه في مستودع الذاكرة طويلة الأمد؟

لا توجد أدلة تحدد حجم ما يمكن تخزينه في الذاكرة طويلة الأمد can be stored in long-term memory فالمعلومات الجديدة من الممكن أن تحل محل المعلومات القديمة في الذكريات قصيرة الأمد . لا توجد أدلة تؤيد أن الذكريات في الذاكرة طويلة الأمد يمكن إزاحتها أو نقلها displacement . في الحقيقة الذكريات طويلة الأمد قد تبقى لمدة أيام أو سنوات ، وقد تستمر مدى الحياة ، الذكريات لا تزول نهائيًا حتى عندما نعجز عن استرجاعها.

**الجريمة والأمينزيا Amnesia and crime:**

ويصف الليوي وزملاؤه Lauren. B. Alloy (1996) العلاقة بين فقدان الذاكرة والجريمة بأن الأمينزيا تخلق صعوبات أمام الهيئات القضائية وهيئات التحقيق ، ذلك لأن ضحايا الجرائم أو المجني عليهم لا يستطيعون ، بصورة شعورية ، تذكر أو استرجاع تفاصل الجرائم التي وقعت عليهم ولا يستطيعون أن يقدموا شهادات ذات فائدة أمام المحاكم testimony in courts بمعنى عجزهم عن تقديم شهادات تصف ما وقع عليهم من جرائم ، وتصف شخصية مرتكبها أو الأداة المستعملة فيها أو وقت وقوعها أو دوافع المجرم من وراء ارتكاب جريمته.

كذلك فإن المتهمين The accused of crimes لا يتذكرون الوقائع والأحداث أو الجرائم التي ارتكبوها . فلقد تبين من خلال إحدى الدراسات الأمريكية أن هناك نسبة تتراوح ما بين (23٪) و (65٪) من الأشخاص الذين تم اتهامهم charged بارتكاب جرائم القتل ، وكذلك الذين تمت محاكمتهم وإدانتهم فعلاً convicted of homicide ادعوا أنهم لا يذكرون شيئًا عن جرائمهم.

وقد ترجع حالة النسيان هذه إلى تعاطى هؤلاء المجرمون الكحول أو غيره من المواد المخدرة . فهناك حالات من فقدان الذاكرة ترجع إلى تعاطى الخمور والمخدرات drug-induced (black outs) ، وطبعًا لا يمنع هذا الحال من أن يكون بعض المتهمين يعمدون إلى تحريف الشهادة أو تحريف ذكرياتهم faked عن الجريمة بقصد الإفلات من المسئولية الجنائية . وهناك حالات أخرى من المتهمين قد يعانون فعلاً من الأمينزيا التفككية أو التحليلية أو الانحلالية dissociative amnesias أي فقدان الذاكرة وهى حالة مرضية لا يدعى فيها المتهم النسيان أو فقدان الذاكرة ، وإنما هو ينسى ذكرياته فعلاً عن الجريمة.

وقد يحدث النسيان من جراء التعرض للآثار ة الانفعالية الشديدة الناجمة عن ظروف الجريمة وملابساتها ، الإنسان في أوقات التعرض للانفعالات الشديدة تضطرب عنده عمليات الإحساس والإدراك والتفكير والتذكر.

المتهمون الذين يدعون defendants النسيان قد تقضى المحكمة بأنهم عاجزون عن مساعدة أنفسهم في الدفع بالبراءة ، وقد تحكم المحكمة بأنهم فاقدوا الأهلية أو الكفاءة

للمثول أمام المحكمة Incompetent to Stand Trial ذلك لأن المتهم في هذه الحالة يكون عاجزًا عن فهم ما يدور في قاعة المحكمة ويكون عاجزًا عن إبداء الدفوع اللازمة عن نفسه ، وفي هذه الحالة قد يتم الدفع عنهم بالجنون the insanity defense على أساس أنهم ارتكبوا الجريمة Committed The Crime في حالة انعدام الشعور أو الوعي أو الإدراك أو الفهم أو القدرة على الاختيار ، بمعنى أن المتهم لم يكن يعرف ماذا يفعل حين وحال ارتكاب الجريمة ولا يعرف أن ما يفعله هو خطأ أو هو عمل يؤثمه القانون.

هذه هي الحالة التي انطبقت على السيدة الأمريكية التي بترت عضو التذكر لزوجها عندما حاول الجماع معها وكانت تصر على الرفض وهى السيدة Lorena Bobbitt والتي ادعت ، في أثناء المحاكمة ، أنها لا تذكر إطلاقًا أنها قامت بقطع عضو زوجها بالسكين cutting off her husband's Penis وتمت محاكمتها على أنها حالة جنون مؤقت temporary insanity (Assoy B. and others, 1996: 179)

وينص قانون العقوبات المصري في مادته (62) على الإعفاء من المسئولية الجنائية في حالة الجنون أو فقدان الوعي والفهم والإدراك.

**مادة (62) وتنص على :**

لا عقاب على من يكون فاقد الشعور أو الاختيار في عمله وقت ارتكاب الفعل .

إما لجنون أو عاهة في العقل وإما لغيبوبة ناشئة من عقاقير مخدرة أيًا كان نوعها إذا أخذها قهرًا عنه أو على غير علم منه بها.

## تأثير اضطراب تعدد الشخصية على مجرى المحاكمات الجنائية:

في عام (1977م) تم القبض على رجل أمريكي بتهمة ارتكاب جريمة اغتصاب ثلاثة نساء rape ، ولقد تمكن اثنان من هؤلاء النسوة من التعرف عليه ، كذلك وجدت أدلة واقعية ومادية أخرى ، وهى بصماته التي وجدت في مسرح الجريمة Fingerprints ، وكانت القضية تبدو واضحة ومنتهية إلى هذا الحد ، إلى أن حدث أن هذا المتهم حاول مرتين الانتحار في السجن ، وهو في انتظار المحاكمة.

وهنا طرأت على محامية فكرة أن هذا المتهم يحتاج إلى مساعدة طبية عقلية psychiatric help ، وجاءت تقارير علماء النفس والأطباء العقليين لتغيير مجرى أو مسار القضية تغييرًا كليًا ،

حيث قرروا أنهم تعرفوا أو اكتشفوا عشرة شخصيات مختلف بعضها عن بعض في هذا المتهم ، وتوجد هذه الشخصيات متزامنة في هذا المتهم coexisting ، من هذه الشخصيات شخصية رئيسة تمتاز بعدم العاطفة أو عدم الانفعال أو بالجمود والتبلد الانفعالي وهى شخصية قامت بتعلم نفسها . وكانت هذه الشخصية هي التي تسيطر على بقية الشخصيات شخصية رئيسة تمتاز بعدم العاطفة أو عدم الانفعال أو بالجمود والتبلد الانفعالي وهى شخصية قامت بتعلم نفسها . وكانت هذه الشخصية هي التي تسيطر على بقية الشخصيات ، ومن الشخصيات الأخرى شخصية لرجل غير إنجليزي ، قوى البنيان يمتاز بالاختلاط مع المجرمين ومع مدمني الخمور ، وكان يعرف نفسه بأنه "حامى" النساء والأطفال ، ومن هذه الشخصيات شخصية فنان ، ومنها الشخصيات المضادة للمجتمع وشخصية فنان تشكيلي أيضًا ، وكانت هذه الشخصيات في أعمار مختلفة وكانوا أصحاب مهن مختلفة ، وطباع مختلفة أيضًا ، فمنها الشخص الخجول أو المنطوي ، ومنها من كان يمتص آلام الآخرين ومعاناتهم ، والغريب أن من بين هذه الشخصيات شخصيات أطفال صغار ، والأغرب من ذلك أنه كان منها شخصيات إناث ، لأنثى في سن الثالثة من عمرها . ومن هذه الشخصيات من كانت امرأة سحاقية lesbian أي تمارس الجنس مع امرأة أخرى.

ولقد أظهر هذا المتهم نبوغًا ومواهب عن طريق هذه الشخصيات والتي كانت تظهر من وقت لآخر في أثناء وجوده في السجن . فبعد محاولة انتحاره الثانية تم إيداعه في زنزانة منفردًا solitary confinement وكان يرتدى ثوبًا للحماية من شنق نفسه ، ولكن كانت دهشة سجانه عندما مر عليه وإذا به يجده يغط في نوم عميق،وقد وضع ثوبه هذا المخصص للحماية تحت رأسه كما لو كان مخدة.

وفي نهاية المحاكمة ، قضى عليه بأنه غير مذنب بسبب الجنون أو بناء على قبول الدفع بجنونه not guilty by reason of isanity وكانت حالته هذه هي أول حالة من حالات اضطراب تفكك الهوية dissociative identity disorder يقضى عليها أو يحكم عليها في جريمة كبيرة تحت الدفع بجنون المتهم في هذه القضية أو الدعوى القضائية plea.

وبناء على هذا الحكم تم نقل هذا المتهم إلى إحدى المستشفيات العقلية ، حيث تلقى العلاج من اضطراب تفكك الهوية على يد أطباء الاختصاص.

ولقد اكتشف الطبيب الذي تولى علاجه مزيدًا من الشخصيات إضافة إلى الشخصيات العشر السابقة ، حيث تم تحديد ثلاث عشر شخصية أخرى ، من بينها شخصية معلم صارم ، حتى وصل عدد هذه الشخصيات إلى 23 شخصية . ولقد تم شفاؤه وأطلق سراحه واشتغل مزارعًا في مزرعة قريبة من مسكنه بعد ذلك.

ولقد أرجع بعض الأطباء حالة اضطراب تفكك الهوية هذه التي كان يعانى منها هذا المتهم إلى تعرض المتهم لصدمة من جراء إساءة استعماله جنسيًا في الطفولة ، وذلك على يد زوج أمه stepfather ولكن ما زال هناك الكثيرين من المختصين ومن عامة الناس الذين ما يزالون يعتقدون أن هذا المتهم كان يتصنع وينصب faking . ويلاحظ أن هذا الاضطراب وهو اضطراب تفكك الهوية وانحلالها أو تحليلها ما زال يثير كثيرًا من الشك والريبة skepticism ، وهذا الشك له ما يبرره . ولكن من الصعب تصور أن شخصًا واحدًا يحمل كل هذه الشخصيات ، وتقمص كل هذه الأدوار ، وذلك بصورة تقنع الآخرين وبصورة دائمة وثابتة لفترة من الزمن.

بعد هذه الحالة لهذا المتهم تم القبض على شخص آخر متهم بالاغتصاب والقتل rape–murders ادعى الدفع بالجنون مقررًا أن الجرائم المنسوبة إليه ارتكبتها إحدى شخصياته ، ولكن هذا الدفع تم رفضه من قبل المحكمة حيث ظهرت أدلة جديدة توضح أنه كان يزيف الأعراض ، وتمت ملاحظة أن "ذواته" المتغيرة لم تكن ثابتة his alter egos were not consistent وتمت محاكمته وإدانته بالقتل المتعدد was convicted of multiple counts of murders.

وفي محاولة أخرى لاستغلال "الدفع بجنون المتهم" تأسيسًا على إصابة المتهم باضطراب تفكك الهوية ، فقد حاول رجل آخر كان متهمًا بالهجوم الجنسي أو الاعتداء الجنسي sexual assault على مريضة بمرض تعدد الشخصية ادعت أن واحدة من شخصيتها هي التي أعطته الموافقة على ممارسة الجنس معها ، بينما كانت الشخصية الأخرى تقف "تراقب" الموقف في حين أن الشخصية الثالثة هي التي ذهبت لإبلاغ البوليس ، وانتهت هذه القضية بإدانة المتهم تطبيقًا لأحكام قانون أمريكي اعتبر الهجوم الجنسي مساويًا للاغتصاب ، واعتبر هذا القانون أن الاغتصاب مساويًا للجماع الجنسي إذا وقع على مريضة بالمرض العقلي sexual intercourse .

هذه القضايا وتلك الحالات المرضية تضع كثيرًا من الصعوبات والتساؤلات أمام النظام القضائي the legal system.

وما مدى جواز تحمل شخص ما لجرائم ارتكبتها شخصية إضافة أو فرعية ، وليست شخصيته الأصلية crimes committed by a subordinate personality.

وهل يصبح المتهم ضحية لجريمة ما كالاغتصاب إذا كانت إحدى شخصيات المجني عليها قد وافقت له على الفعل الجنسي معها . وكيف يتم ذلك في ضوء أن القانون يعتبران الشخص له شخصية واحدة وليس العديد من الشخصيات ، وهل يتعين أن تتم معاملة كل شخصية من هذه الشخصيات بصورة فردية (Alloy and others, 1996:180).

## مبادئ محكمة النقض المصرية في تقدير شهادة الشهود:

**- المبدأ الأول:**

لئن كان تقدير أقوال الشهود واستخلاص الواقع منها مما تستقل به محكمة الموضوع إلا ألا أن ذلك مشروط بأن يكون استخلاصها سائغًا وإلا تخرج بها عما تحتمله.

**- المبدأ الثاني:**

تقدير الشهادة – ولو كانت تقولاً – مسألة موضوعية ، ومتى اطمأن لها وجدان المحكمة فلا يصح الجدل فيها أمام محكمة النقض.

**- المبدأ الثالث:**

تقدير أقوال الشهود واستخلاص الواقع منها هو مما يستقل بها قاضي الموضوع ، ولا معقب عليه في تكوين عقيدته مما يدلى به شهود أحد الطرفين ما دام لم يخرج بذلك عما تحتمله أقوالهم.

**- المبدأ الرابع:**

لا يعيب الحكم عدم تعرضه لأقوال شهود النفي ومناقشتها أو الرد عليها استقلالاً طالما أقام قضاءه على أسباب سائغة ولها أصلها الثابت في الأوراق.

**- المبدأ الخامس:**

لمحكمة الاستئناف أن تستخلص من أقوال الشهود ما تطمئن إليه ولو ذهبت في ذلك

مذهبًا مخالفًا لتقدير محكمة الدرجة الأولى ، ولا يكون عليها في هذه الحالة أن تبين الأسباب المبررة وحسبها إقامة قضائها على ما يحمله.

**- المبدأ السادس:**

الشهادة السماعية جائزة حيث تجوز الشهادة الأصلية وهي مثلها تخضع لتقدير قاضي الموضوع ولا سلطان لا حد عليه في ذلك إلا أن يخرج بأقوال الشهادة إلى ما لا يؤدى إليه مدلولها.

**- المبدأ السابع:**

تقدير أقوال الشهود مرهون بما يطمئن إليه وجدان محكمة الموضوع ، فلها أن تأخذ بأقوال شاهد دون آخر حسبها ترتاح إليه وتثق به ، ولا سلطان لا حد عليها في ذلك إلا أن تخرج بتلك الأقوال إلى ما لا يؤدى إليه مدلولها.

**- المبدأ الثامن:**

ترجيح شهادة شاهد على شاهد آخر هو من إطلاقات قاضي الموضوع ، لا شأن فيه لغير ما يطمئن إليه وجدانه ، وليس بملزم أن يبين أسباب هذا الترجيح ما دام لم يخرج بأقوال الشاهد عما يؤدى إليه مدلولها.

**- المبدأ التاسع:**

لمحكمة الموضوع السلطة المطلقة في الأخذ بما تطمئن إليه من أقوال بعض الشهود ما دامت لم تخرج عن مدلولها ، أو تأخذ بجزء من أقوالهم دون الآخر ، ولها أن تطرح أقوال باقي الشهود دون حاجة منها إلى الرد استقلالاً على من لم تأخذ بشهاداتهم ، أو تورد العلة في ذلك ، إذ في أخذها بأقوال الشهود الذين أخذت بأقوالهم ما يدل على اطمئنانها إليها ، والإعراض عن أسباب تجريحهم وأقوال غيرهم ، ومن ثم فإن ما يثيره الطاعنون لا يعدو أن يكون مجادلة في سلطة محكمة الموضوع في تقدير أقوال الشهود مما تستقل هي به.

**- المبدأ العاشر:**

محكمة الموضوع تستقل بتقدير أقوال الشهود ولها أن تأخذ ببعض أقوالهم وتطرح أقوال الآخرين حسبما يطمئن إليه وجدانها كما أن لها أن تأخذ معنى للشهادة دون معنى آخر تحمله متى كان المعنى الذي أخذت به هو مما لا يتجافى مع مدلولها.

**- المبدأ الحادي عشر:**

الشهادة في اصطلاح الفقهاء إنما هي إخبار صادق في مجلس الحاكم بلفظ الشهادة لإثبات حق على الغير ولو بغير دعوى ، وبالقيد الأول يخرج عن نطاقها الإخبار الكاذب وإن لازم هذا أن تكون لقاضي الدعوى سلطة الترجيح بين البيانات واستظهار واقع الحال ووجه الحق فيها ، وسبيله إلى ذلك أنه إذا قدم أحد الخصوم بينة لإثبات واقعة كان للخصم الآخر الحق دائمًا في إثبات عدم صحة هذه الواقعة وأن جماع الفقهاء ، على أن القاضي لا يقف عند ظواهر البيانات ولا يتقيد بشهادة من تحملوا الشهادة على الحق إذا ثبت له من طريق آخر.

**- المبدأ الثاني عشر:**

من الأصول المقررة أنه إذا تضمنت الشهادة معنى النفع أو الدفع صار الشاهد متهمًا ولا شهادة للمتهم ، وقد جرى قضاء محكمة النقض على أن الاطمئنان إلى صدق الشاهد مرده وجدان القاضي وشعوره فلا يلزم بإبداء الأسباب التي تبرره.

**- المبدأ الثالث عشر:**

لمحكمة الموضوع استخلاص ما تراه من أقوال الشهود في خصوص الواقعة المطلوب تحقيقها وإقامة قضائها على ما استخلصته متى كان سائغًا وغير مخالفًا للثابت وذلك بغير معقب عليها من محكمة النقض.

تقدير أقوال الشهود تستقل به المحكمة ، تقدير الشهادة ولو كانت تقولاً مسألة موضوعية لا يعيب الحكم عدم تعرضه لأقوال شهود النفي ومناقشتها والرد عليها ، لمحكمة الاستئناف أن تستخلص من أقوال الشهود ما تطمئن إليه ولو ذهبت في ذلك مذهبًا مخالفًا لتقدير محكمة الدرجة الأولى ، الشهادة السماعية جائزة حيث تجوز الشهادة الأصلية وتخضع لتقدير القاضي ، للمحكمة أن تأخذ بأقوال شاهد دون آخر حسبما ترتاح إليه ، ترجيح شهادة شاهد على شهادة آخر من اطلاقات القاضي ، للمحكمة أن تطرح أقوال باقي الشهود دون حاجة منها إلى الرد استقلالاً على من لم تأخذ بشهادتهم ، للمحكمة أن تأخذ بمعنى للشهادة دون معنى آخر تحمله طالما لا تجافى مدلولها ، لا يقف القاضي عند ظاهر البيانات ولا يتقيد بشهادة من تحملوا الشهادة على الحق إذا ثبت له من طريق آخر ، تقدير أقوال الشهود مرهون

باطمئنان المحكمة إليها ، الاطمئنان إلى صدق الشاهد مرده وجدان القاضي ، للمحكمة استخلاص ما تراه من أقوال الشهود . (هبة ، أحمد: 1982: 498).

## توصيات الدراسة وآفاق البحث المقبلة

1) توصى هذه الدراسة بضرورة إجراء العديد من الدراسات القانونية والنفسية المشتركة لعملية الإدلاء بالشهادة والتعرف على العوامل التي تؤثر في مصداقيتها وبالتالي اعتمادها كأدلة ثبوتية أو أدلة نفى ، وذلك بالاعتماد على عينات تمثل البيئة العربية في الظروف الراهنة.

2) توصى هذه الدراسة بعدم استخدام التعذيب أو الإكراه في استخلاص شهادة شهود العيان.

3) توصى الدراسة بعدم استعمال الأسئلة الإيحائية التي تؤثر في مصداقية الشهادة أو إبلاغ الشاهد أو المتهم معلومات خاطئة بهدف استخلاص أقواله.

4) كما توصى الدراسة بضرورة اختيار المفردات أو الألفاظ أو العبارات التي ترد في أسئلة المحقق كسؤال الشاهد في واقعة تصادم سيارات بالقول هل "هشمت" السيارة الأولى السيارة الثانية؟ وهل شاهدت الزجاج المحطم بدلاً من استخدام عبارة هل "ضربت" السيارة الأولى السيارة الثانية.

5) ضرورة أن يتعرف المحقق على الظروف والملابسات والأحوال الحيوية والضوئية في مسرح الجريمة.

6) ضرورة وضع اعتبار للشاهد أو المجني عليه أو المتهم والمدعى بالحق المدني المصاب بفقدان الذاكرة "الأمينزيا" وكذلك الحرص من ظاهرة الذاكرة المزيفة التي تصف أحداثًا لم تحدث إطلاقًا.

7) اتخاذ كافة الاحتياطات التي تمنع من الاعتماد على الدفع بجنون المتهم للإفلات من المسئولية الجنائية ، ولمنع حالات ادعاء المرض أو الجنون أو التظاهر بالمرض أو "تمثيل" الأعراض المرضية أمام هيئات التحقيق وذلك وصولاً بالعدالة إلى منتهاها أو حالات ادعاء تفكك الشخصية أو تعدد الشخصية أو فقدان الهوية.

## قائمة المراجع


1) الحفني ، عبد المنعم ، (1993) ، موسوعة أعلام علم النفس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة.

2) العيسوي ، عبد الرحمن محمد ، (2005) ، علم النفس الفسيولوجي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.

3) بهنام ، رمسيس ، (1979) ، علم النفس القضائي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.

4) جلال ، سعد ، (1992) ، المرجع في علم النفس ، دار المعارف ، القاهرة.

5) راجح ، أحمد عزت ، (1994) ، أصول علم النفس ، دار المعارف ، القاهرة.

6) قانون الإجراءات الجنائية المصري.

7) قانون العقوبات المصري.

8) Alloy . L.B., and others, (1996), Abnormal psychology, Current perpectives, Mc Graw-Hill, INC, New York..

9) Carroll.H.A., (1994), Mental Hypiene, the Dynamics Adjustment, Prentice – Hall, Inc, Englewood Cliffs, New Jersey.

10) Edwards, D.C., (1999), General psychology, The Macmillan Company, London.

11) English, H.B., and English . A.C, (1998) A comprehensive Dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Londmans, London.

12) Rathus, A., (1996), psychology in the New Millennium, Harcourt Brace College Publichers, London .

13) Reber, A.S., (1995), Dictionary of psychology, penguin Books, London.

14) Strange, J.R., (1995), Abnormal psychology understanding Behaviour Disorders, Mc Graw-Hill Book, company, New York.


obeikandl.com